خبيئة

الذكريات

رواية

وهيبة محمد سكر

من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية

إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: خبيئة الذكريات رواية

اسم المؤلف: وهيبة محمد سكر

رقم الايداع:٢٠٢٠/٢١٣١٢

الترقيم الدولي:٩ ـ ١٢ ـ ٦٨٤٩ ـ ٩٧٧ـ ٩٧٨

حقوق الطباعة محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته

في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أي شكل من الأشكال

المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلًا دون إذن خطي مسبق

للمؤلف ودار النشر الحق في النشر الالكتروني

المراسلات:

دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم ٥٢٧٥ شارع عماد مصطفى

موبايل : ٠١١٤٤٠٥٩٩٧٥ ت : ٢٧٣٠٤٠٠٤

في البداية

عرفت يوماً

حين تفتقتُ من رحم أمي أن هناك حباً وقلماً وحرفاً وورقة

في البدء شخبطات قدر وحروف شاطحة في السماء

وجنح متطلع للسماء لايهدأ .. لايستقر

وطاقات تريد انفجاراً

ماكان إلا الحرف والبوح والكتابة لتفجير البركان الكامن

فكنت أنا وخبيئتي المفعمة الممتلئة المعتقة

منذ "تي" ومعابد الملوك والملكات ومراكب الشمس

المخبوءة في أوراق البردي وسر التحنيط

إنها هى الأنثى الاستثنائية

وهيبة سكر

اهداء

لك خبيئتي ....ما كتبته ...

ومالم أجرؤ على كتابته أو الافصاح عنهُ واحتفظت به ....في خزانة فكرى حتى القاك

إليك أهديك ....أنا

كلي لك

العاشقة لك

وهيبة سكر

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

شكر واجب

اتقدم بالشكر للناقد الاديب الفنان التشكيلي ... سيد جمعة

وهذه الكلمات في مقدمته القيمة والرصينة عن خبيئة الذكريات

تقديري واحترامي لك استاذي الراقي

*****

الشكر للفنان المبدع ... ابراهيم شلبي

ولوحته المصاحبة لخبيئتي

وهيبة سكر

تقديم للكاتبة

إنه جمال...

مدار العمر ومحوره ...يدور فكري وعقلي حوله ووجداني...

ذاك فارسي...

كل أحلامي تجسدت في شخصيته الفريدة...

كيف تقولبت فيه...

وكأنما قد تلبسني ....فأصبحت هو...

ليس هو الحب ما يربطني به فقط ...بل إنه هو ...تلك القوة والحكمة والعقل وقدتأثر عقلي به بداية العمر وشبابي

وخلال سنين العمر وما مر بي من تجارب وخبرات كنت في كل تجربة أساءله وهو الغائب الحاضر في كل أمر وانتظر الاجابة كأنما هو هنا في عالمي

تمثلت فيه الاب المغادر ...والقائد ...والعقل المدبر والروح المهيمنة...

لم نتكلم عن الحب...

لكن هذي المكالمة التليفونية الأولى والأخيرة ...أُختزلت فيها ...كل الأمور وأصبحت هي الرواية الحقيقية

في بضع ساعات استغرقتها المكالمة الهاتفية فيها كان كل العمر

وكل الحقائق وفيها الحب المخبوء سنين العمر

وحوار ربما لم أقو في صبايا ...على القيام به فكنت أراه اكبر من

تخيلاتي

رأيته هرما شامخا وشخصية مستبدة مسيطرة

وكنت انا الشابة الصغيرة ...الخائفة المرتعدة من هول قوته...

وبمرور الاعوام وتفرق السبل ظل هو القائد لروحي وعقلي ...لم يفارقني لحظة...

تبدلت أنا ...أصبحت أتكلم مثله ....وأدير مثلما كان يدير...

أ إلي هذ الحد أخذني إلى عقله حتى بت لا أعرفني...

ووجدت في الشعر ملاذي وواحتي وديواني وصرحي ....وفي الخيال ....وقصص الشعراء والعارفين بالله....

استغرقني الشعر عمري كله...

كتبت فيه وله هو ....جمال ...كل قصائدي....

وأسرفت العمر معه بالروح وحوله وله أعطي ما لم أعطه لسواه...

وأصبح كل الرجال حولى ....نسخا غير مكتملة ....لوجهه....

وفي كل الرجال بحثت عنه .....جمال....ولكن كان دائما هناك نقصا.....

ومر العمر في حيوات وأعمار...غير ناضجة ....وعشت على هامش الحياة ....ولست فاعلة فيها

إنما اجد الحياة قي ذاك الخيال والشعر ....وغزارة كلماتي

وحروفي....

لكنه هو ...جمال...

لم أعشه حق الحياة...

كم لمته....

وكم ساءلته ....لم لم تأخذني....

انها خبيئة العمر....

هو جمال ....حبيب العمر...

وهيبة سكس

مقدمة

خبيئة الذكريات

يقول وليم وولفريز " إن اشكال السردِ كلها ، والشعر ايضاً ، أشكالٍ مسكونة بـ "أخر"ما ، و بـ "ماض" ما ، و بـ "غريبٍ" ما ، و بـ "غائبٍ" ما ، و"مّفتقدٍ"ما، وبـ "توتر" ما، وبـ "إضطراب" ما ،و بـ "حلمٍ" ما ، وبـ "رغبةٍ" ما ، في عودة ذلك "الآخر" ، المّفتقد الغائب ، وربمًا فى عدم عودتهِ. "

الغرابة المفهوم و تجلياتهِ فى الأدب

تأليف : د . شاكر عبد الحميد

إن كل هذه الأشكالِ مسكونةً فى هذا العمل الأدبى فنحنُ أمام روايةً ذات خصوصيةٍ شديدة ، بإسلوب سرديّ ذا أبعادٍ مُتعددة ؛ تتناول فيها الكاتبة قصة الحبِ والعشقِ المُعتادة علي لِسان الحبيبة العاشقة ؛ فهذه الحبيبة العاشقة تمتد يدِها إلى " خبيئة الذكريات " و تتناول منها ذكريات قصة الحب في حُزنٍ وشجن ، تقلب اوراق الذكريات المُفعمة بالأحداثِ والمشاعرِ عبر سنواتٍ عاشت فيها حبٌ وعشقٌ إلتهبت فيها المشاعر والرغباتِ عبر مسافات البعاد وجحيم عقبات الإزاحة والمنع والرفضِ من جانبِها او جانب الآخرين ؛بالإضافة إلى الكبرياء والتردد والخجل المُتبادل منها تارةٍ ومن الحبيب تارةٍ أخرى ، حتى يتم بنجاحٍ العبور إلى الحبيب والإلتقاء بهِ بترتيباتٍ قدرية حسمت سنوات البعادً ودفقات امواج سنين مِن الأشواق والأحلام والرغبات و الآمال.

قد يكون هذا مُعتاداً في قصصِ الحبِ والعشقِ التى نقرأها

وتزخرُ بتنوع الأحداث و زخمها ، ولما كان الفنِ عامةٍ وأدبِ

الرواية والقصة بصفة خاصة يَكمنُ الإبداعِ فيهما إلى تقنية المُبدع فى إسلوبهِ و " تسكين " ما أشار إليه وليمَ وولفريز فى سياقِ العمل الأدبى من خلال تقنية سردٍ تمتلئ بهذا الحشد من الأشخاصِ او المشاعرِ علي تنوعِها وحدتها ودورها " الديناميكى " فى إحداث إيقاعٍ أو عناصرجَذب للقارئ وهو يقفزُ علي رشاقة الكلمة ودقتها فى التعبير دُون إسرافٍ أو إختزالٍ لتنتقل المشاعر بِصدقِها وقوتِها وجمالِها إليهِ كأنما يُلامسُ حرارتها و دفئِها بيديهِ ويرى الأحداثِ رؤية العين ، ويسمعُ نبرة الكلمات هامسةٍ حانية أو زاعقةٍ مُحتدة.

الكاتبة أزاحت الغِطاءُ عما هو معلومٍ ومخفى و مدفون مِن مشاعرِ المرأة " الأنثى " بإسلوب أُنثوى إرتقت فيِه الكلمات والجمل بل وفقراتٍ عديدة عبر الرواية إلى أهم جماليات القصيدة كالحرفية فى إختياردقةِ الكلمة فى التعبير، وصدق وحرارة مشاعر الحب على إختلافِها و تباينِها المعروف.

لكن الحرفية الأكبر فى الرواية هى قدرة الكاتبة و نجاحِها فى لُغتِها أو إسلوبها السردى الثرى الزاخرِ بأشكالِ متنوعة تسكنُ موضعُها فى قصة حب تبدو عادية لكنها بالتأكيد غير عادية فهى من " خبيئة ذكريات " غير عادية .

سيد جمعه

ناقد تشكيلى وأديب

٢٠٢٠/١١/٢٤

خبيئة

الذكريات

رواية

وهيبة محمد سكر

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

هذه خبيئتي في الذكريات بعضا مني بعضا منهم بعضا منكِ، ربما قلة الأحداث واختزالها والتركيز فيها على شخص واحـــد تدور حوله كل الأحداث مناط حياتي ومحوره، استقيت منه كل العمر.

إليكِ أمي...

أهديكِ بعضا مني تعلمين عني الكثير ،والكثير لك أهديك وريقاتي ضممت فيها حنانك والحب

وعيونك السود، وضفائرك مازالا في مخيلتي لا تفارقني.

إلى القارئ...

يامن ستقرأني ربما أو تبحر في أعماق الكلمات ليتك تقرأني حقيقة القراءة ،وغرابة أطواري.. تريث أيها القارئ كي تراني على حقيقتي، ربما يريحني أن تقرأني على مهل وتغوص في أعماق روحي..

هي قصة عشق ليست ككل القصص ، هو عشق كُتب عليه الغموض والغرابة ولعب القدر فيه لعبة قاسية.

قصة العشق الأسطوري والمكتوب عليه الحرمان ، أيها القارئ على مهل اقرأني علك تعرفني

إليكَ أنت كلماتي يا من تقولبت فيك ، وأصبحتَ أنت مذ رأيتكَ أول مرة وتلبستني ، روحا وعقلا وأدرت حياتي رغم الرحيل، ولا أدر لم أنت ؟كيف أنت ؟

ودارت أحداث حياتي كلها في مداركَ رغم البعد والمسافات، منك استقى الأمل والإلهام والحياة

كلما مر بي طقس من طقوس حياتي، استدعيك بفكري ماذا سيكون رأيك ؟ وآخذ منك الحلول

هكذا بدأت كتاباتها عنه وله رغم الغياب ،مذ نظرَ إليها أول مرة منذ سنوات بعيدة وشاءت الظروف القرب الغامض أإلى هذا الحد تستطيع الروح الهيمنة ؟

ودلفت إلى عالم الأرواح تساؤلها ،وتغرق في الكتب والأولين ،وتبحث عن هدى ،إنه ليس حبا بالمعنى المفهوم ولكنه تلبس روح لروح، والتأثر بها وإدارة الحياة كأنما هي مسلوبة الإرادة.

أحداث كثيرة مرت ربما يتغشاها النسيان أحيانا ،لكنها حين تخلو إلى نفسها تسأله بالروح ما رأيك؟

ويوم أرسلها إلى هذا" الطراهوني " ورجعت تبكي تطاوله عليها وهي طفلة بريئة، لا تعرف كيف تدافع عن نفسها، ثار في وجهها حين رآها تبكي وقال لها زاعقا:

- **لا تضعفي وتقوي لست وحدك أنت كالرجال طالما نزلت للعمل لابد أن تكوني قوية.**

ومنذ هذه اللحظة وهذه الكلمات، وهي تتمثله في كل أشياء الحياة.

حكايتي أو حكايتها..

تبدأ بالطفولة البريئة الخالية من منغصات الحياة ،أم وجدة وقطة وسعاد وأحلام وموسيقى وخيال وعصافير تبني الأعشاش للصغار..

لم تكن تعلم أن هناك بعد هذه الطفولة أحداث جسام ستمر بها ،ربما هو من تمثلته القوة والمدد يلهمني.

تبدأ الآلام بغياب الجدة عن الحياة والتفات نظري أن هناك موت يذهب بالأحباب ، كانت هي الأم في حقيقة الأمر لانشغال الأم الحقيقية بأولادها الستة، أول شرخ علمَّ في روحي وقلبي غياب الأب وخيانته وتجاهله ،ورحت أتصور شكله ماذا يكون؟

وعرفته لأول مرة في عمر ال 13 عام لم أحبه وما زلت لا أحبه، خان الأم وسمعت بكاءها وأنا بعد جنين في رحمها ،وتعلمت أن هناك خيانة، لكن الحب خايلني كثيرا وأصبحت مشاعري تبحث عن الأب في كل من يتقرب مني.

وكان هو في حقيقة الأمر(جمال) تمثلته الأب.. وتمثلني الفتاة الصغيرة الجميلة، كان متحفظا جدا في تعامله معي ،ربما كان يخشاني كما قال لي في هذي المكالمة ،النكبة الطويلة التي غيرت كل حياتي وأصابتني بالألم ومازال الجرح ينزف دما.

قال لي في المكالمة:

- **كنت أخشاك رغم صغر سنك ؛رأيتك ياسمينة رقيقة خشيت عليك من الهواء والنسيم.**

تفرقنا يوما لكنه لم يفارقني، تبادعنا مسافات لكنه لم يبرح خيالي، ورحت أقارن وبينه وبين الشباب حولي ،كنت لا أراهم رغم كثرة المتقربين لي..

وراح الشباب حولي يتغزلون فيَّ، وهو يرى ويسمع ويغار ويحمر وجهه ويثور، كان يكبرني بسنوات ،أتكلم معك الآن كأنك

أمامي تسمعني وتراني ،وتفجرت أنوثتي وتزايد الشباب حولي من عائلتي، وزاد تقربهم حتى خشيت أمي علي ،ويتقدم الخطيب تلو الخطيب وأنا أرفض حتى صرخت في وجهي إلى متى ؟

هل كنت وقتها أخشى الخيانة كما خانها حبيبها أبي؟ ربما الشعور بعدم الأمان تجاه الجنس الآخر ،أمي حكت لي طفلة كيف كانت خيانته وهي الجميلة جدا والعاشقة له ، ولكنها تقوت على الحب وضعفها وانفصلت عنه وهي تتألم، وأصابه الذهول والجنون لإصرارها على الطلاق رغم الحب ،وأصبحت أخشى الحب، وأكتب أكتب في كراساتي ،ورحت أبحث حولي عن من يكملني ويحتويني ويقويني، أكنت أبحث فيهم عن الأب المفقود قدرا؟

قالوا عني جميلة وتغزلوا في عيوني الخضر وجمال جسدي، لكنني كنت هناك في مكان أخر ابحث عني، وتثور أمي وتغضب وتبكي قائلة:

- ليه يابنتي!

مدافعة عن (.....) عندما تقدم للزواج مني، ولم تسامحني حتى لحظة تجود بروحها قلت لها: - أمي سامحيني.

قالت:

- انا زعلانة منك.

وفاضت روحها لبارئها ومازالت اتعذب بكلماتها ،أمي أصابها هذا اللعين بشراسة ،وزاد الآمه عليها، قمت توضأت وصليت الفجر ونظرت إلى السماء أصرخ:

- يا الله إنها أعز الناس، أرحها يا رب.

ودخلت إليها وجدتها تجود بالروح أعز الناس هي.

أصبح الموت شاغلي ،ورحت أسافر بالروح إلى هناك أبحث عن حبيبي ، وانهمرت كتاباتي وشعري له وفيه.. جمال .. هو الروح والحب وعشقي، دارت حوله كل قصائدي ، يقول لي دكتور يحيى:

- أنت لم تحبِ غيره .

دكتور يحيى رجل نوراني، طبيب ماهر حنون يعشقه الفقراء ويحنو عليهم، وعيادته لا تفرغ ليلا ونهارا من المرضى ،في نادي (....) بمدينتي رأيت مالم يره غيري، وجوه ومساحيق، ومصالح وتربيطات، ويقول لي الدكتور (....) رئيس مجلس الإدارة:

- أنت مختلفة.

كم تخفى هذه الأماكن من أسرار وزيف وأقنعة! وتساوي ليلي ونهاري وأنا أفكر وأسافر بخيالي إليه، هو هناك أراه يترقبني ،يمد يده عند الضفة الأخرى من النهر الأخضر أراه بالروح ويراني ويأتيني في منامي واتنسم عبق روحه.

وهذا الحي الشعبي وطفولتي وسعادتي..

، سعاد وأفراخها والحمام والبط، وسطح البيت ونظرة ابن الجيران الصامتة، كل الرؤى وأحلامي هناك على سطح بيتي خاطبت فيه القمر ليلا..

إحسان.. ساكنة غرفة السطح كانوا يتقولون عليها لكني لم أفهم ، كانت تحبني وتراني أكتب أو أرسم ،تقول لي

: عيونك حبيبتي.

وتأتي لي بالحلوى أو كوب من الشاي، لم أصدق ما قالوه عنها أهل الحي ، وعندما يأتي المساء تبدأ دورة ما لذ وطاب..

(عم بيومي ينادي) الجيلاتي وتنزل الأسبتة لنلتهم ما عنده ويعود إلى بيته سعيدا،

ومن ينادي على الزبادي" يوجارت "(في الأواني الفخارية).

طحال ...هذا عم أحمد..

أما الشبابيك خاصة في الليل ، من الشباك شباكي رأيت مالم تستوعبه طفولتي؛ هذه عاشقة .. سعاد ، وهذه المستقوية الجميلة أم النص..

وأم العربي تتعارك وتخلع ملابسها عارية في الشارع ،ونحن كأطفال نضحك ، كم دارت قصصي وأحلامي في بيتي القديم.

جدتي وصلاة الفجر والمسبحة ألف حبه، والكفن المحفوظ في قاع الصندوق الخشبي لما قالت لي:

- هذا الكفن كفني.

ارتعبت، كانت لا تعرف إلا الفاتحة، وقل هو الله أحد، تصلي بهما وتسبح طوال الليل، أراها جالسة في جوف الليل تدعو وتسبح وأنا طفلة ،ارتعدت يوما لما رأيت وجوها بيض حولها، واسرعت اغطي وجهي باللحاف خوفا، وقصص الحب الخفية كم رأت عيني طفلة قصص العشق الخفاء، ودارت كل أحلامي ورؤاي هناك ،حتى الآن حتى لما تركنا هذا البيت بما فيه، من ذكريات كونت

شخصيتي ما زلت أحلم بهذا المكان ولم يعن البيت الجديد لي أي شيء حتى الآن، ما زلت بالروح هناك لا أغادره ولا يغادرني.

وكثرت رحلاتي وسفراتي الليلية وقراءاتي في الحب ونزار قباني ودواوينه ،تحت وسادتي اخبأها وغزله في جسدي ،عرفني نزار إلى جسدي وقال لي فيه الكثير ،وأصبح نزار مناط اهتمامي وشغفي ،وعيوني الخضر يغازلها من يراني إلا هو، جمال.. لم يقل لي عنها إلا في تلك المكالمة الاخيرة بيننا.

وفي كل عودة من هناك أتساءل إلى متى ترحالي، وعودتي البائسة القسرية إلى هنا ،وأعود بالأمر الجبري أعود، كم توسلت أن يتركوني هناك معه ،إلى من كان توسلي ورجائي لا أعلم إنما هي كائنات لا أعرفها ،مكبلة إليه أنا هناك حياتي ،إقلاعه كان بلا عودة والفقد روعني أذهلني زلزل كياني، وأنا صامتة هادئة؛ فقدت سبل الكلام والتعبير وكان الألم أكبر من احتمالي ،وفي كل رحلة إليه أتساءل ما الزمان؟ في مكاني من مكاني هنا أسافر..

يدور الكون حول نفسه حول المحور المطلق ،كواكب حولي، تتوالى الصور حولي ،يتوقف الزمان في كل رحلة الساعات.. والثواني ،زماني لم يكن زماني بل زمانه هو ، كم عجزت أمامه، وكم تلعثمت ولم أقو يوما على النظر إليه ،لمحته أول مرة في ذاك الاجتماع الكبير لمحافظ المدينة، جمعنا نحن الخريجين الجدد من الجامعات، لمحني وأحمر وجهه هذا ما أذكره في ذاتي، وانطبعت صورته في روحي ونظرة سريعة منه لم أتبين معناها وقتئذ، بعد وقت ليس بطويل وجدتني قد ألحقت بإدارته ، ووجدتني أمامه بمكتبه وقال:

- اتفضلي.

جلست أمامه مرتبكة متلعثمة ربما أرتجف أيضا..

سألني أسئلة لم أعلم هل أجبت عليها أم لا ،وتوالت معلوماتي عنه كان ضابطا بالجيش، ثم اصبح بعد التقاعد مديرا لإدارة للتفتيش والمتابعة ،هذا التاريخ كان ملبدا بأحداث سياسية ومرتبكة بعد النكبة التي عانى منها العرب جميعا عام1967 ، وكم تبدلت العقول والقلوب ورحيل القائد عبد الناصر الذي كم نادى بالقومية العربية والحركات التحررية والوطن العربي الكبير ،المشروع الحلم الذي تبدد عن عمد من قوى معادية للعرب جميعا، أفرزت تلك الحقبة التاريخية عن مديرين ومسئولين عسكريين في كافة مفاصل الدولة ،أصاب الجميع وقتها خيبة أمل وموات للأماني الكبيرة وشهداء في كل بيت، وتحطمت الأسطورة الكبرى بعد أن ترجل الفارس عن جواده ، وفقدنا جميعا الثقة في كل ثوابتنا ، كنت طفلة أرى القائد أبي والمثل والقدوة وفارسا وملهما للشعر والأغاني ،تشكلت الروح والوجدان في هذا القائد الفارس ، أفرز هذا الوقت عن مديرين عسكريين بكل ما في نفوسهم من ألم، بعد أن تركوا مواقعهم بجوار صانعي القرار والأقدار في حياة الشعب ، رجال تدخلوا في مصير أجيال سيظل هذا في الحياة لمدى بعيد ، حقبة تاريخية مازلنا نتذكر بعد النكسة الخوف والقمع والتهديد وزوار الفجر والتنكيل بالمعارضين، والانهيار والانكفاء على الذات خوف ووجل وذعر، مازالت تلك المشاعر في بعض النفوس ومازالت الجروح باقية تشكل القرارات ، أتوا هؤلاء العسكريين إلى المواقع الإدارية بكل ما فيهم من تسلط وغلظة وسيطرة وبقايا جروح في نفوسهم، ومناهج قديمة للسيطرة إلا من استطاع منهم أن يغلب الصواب على تصرفاته ، علمت بكل هذا حين تأكدت أن مديري هذا منهم، كم خشيت التعامل معه كم ارتجفت وأنا شابة صغيرة ، خشيت التعامل معه كنت أرتجف وأنا

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

أعلم من هو ،وكان بذهني حين أراه تاريخ طويل ، كنت أتصوره في أيام مجده وسلطانه، ماذا كان يفعل ويقول، وأزداد خشية وخوفا، ونجح في التخلص من ماضيه القريب وأظهر إنسانية واضحة مع الجميع، هل كان يحسن صورته أمامنا؟ كانت السمة العسكرية واضحة في إسلوب تعامله ؛صوته عصبيته ، شغل تفكيري وأنا ما زلت أحبو في أول طريق عملي بعد تخرجي من كلية الآداب ،وتخصصي الجغرافيا الذي أشعل خيالي، والكون كل الكون في أحلامي، وأنا الفتاة الحالمة الصغيرة الصعيدية التي أثرت في تكويني ،جدتي الصعيدية كانت كل حياتي،قالت لي يوما:

- لا تنظري في عيون الرجال ؛ فالعين مرآتك.

لم أفهم وقتها ما معنى هذا ؟ ولكنني علمت أن العين هي المفتاح والشفرة والمدخل للذات والروح، أما هو الذي احتلني لأول وهلة كيف استولى على عقلي ،ربما لإحساسي بقوته وضعفي ولم تكن مشاعري واضحة لي.

تساؤلات غيبية هل أعرفه؟ هل رأيته قبل ذلك؟ ربما هو يكمل ضعفي تخليته، هو الفارس المنتظر لي، لم تتضح مشاعري إلا بعد سنوات طويلة شعرت كأني عشت معه قبل ذلك، دخل محسن مكتبي ذات صباح مفتش من الإدارة، كان هادئا دمث الخلق جلس أمامي وقال لي:

- تشربي شاي؟

وطلب كوبان من الشاي، وكان البرد شديد فصل الشتاء فيه أنا انتشي، أعشقه والبرد والمطر وأغرق في المطر طفلة، وأركض إلى سطح بيتنا القديم لأتبلل بالمطر ،وجدتي تصرخ:

- يا بنت ستموتين من البرد.

وأنا لا أتوقف عن الرقص في المطر ،وكم أعشق الرعد وما زلت اختنق من الصيف وحرارته، وفجأة هبت عاصفة مدوية وعلا الصوت وارتعبت وارتجفت حين رايته داخلا من الباب ثائرا دون مبرر وأصاب محسن الذعر فخرج على الفور حين رآه بوجهه الأحمر والشرر يتطاير من عينية، وخرج مسرعا دون أن يشرب الشاي، وعلمت أن هذا اليوم سيكون عاصفا، عاد فجأة وقد خلع الجاكيت وبيده ورقة كرتون ودبابيس ليغلق بها فتحة مكتبي ! وأنا أقول في نفسي ماذا يفعل هذا الرجل؟ ومال بجسده الطويل وقام بلصق الورقة ، ثم نظر لي نظرة أرعبتني ماذا فعلت أنا لكل هذه الثورة؟ وصفق الباب بعنف وخرج.. وتساءلت:

- هو فيه إيه ؟

ورحت لإحسان السكرتيرة الطيبة وحكيت لها ما حدث ،وقلت:

- هو ليه بيعمل كده؟!

نظرت إلي ضاحكة وقالت:

- يعني أنت مش عارفة؟

وعلا صوته مرة أخرى:

- يا عم أحمد الساعي الطيب، قول للآنسة تجيب البوستة وتيجي.
- حاضر يا عم أحمد.

أنا أقول:

- ربنا يعدي النهاردة على خير.

دققت باب مكتبة بخفة وأنا أرتعش فقال:

- اتفضلي ..

ودخلت وقد ازدادت برودة الجو حولي، ثم قال زاعقا:

- آخر مرة أشوف حد عندك في المكتب.
- حاضر يا افندم.
- اتفضلي سيبي الملف هنا واتفضلي..

وخرجت مسرعة، لم أفهم ما يدور ومبرر العصبية ومعنى ما فعله ،وتحاشيته هذا اليوم ، دخلت حجرتي في بيتنا أغلقت الباب ورحت في نوم عميق بملابس الخروج، واستيقظت على صوت أمي تقول قومي حبيبتي الغداء جاهز تعالي افتحي نفسي .

وفي المساء كنت هناك معه في عالمنا الآخر ودنيانا ،قلت له:

- أنا آسفة.

ووضعت يدي على شعره أربت عليه ، معه هناك أعيش حق الحياة في حرية، أقول ما أريد أفعل ما أريد وأتحرر من قيودي، ويطعمني لقمة في فمي ويقول أجمل الجميلات أنت ، شخصية لي أخرى حقيقية جرأة وحرية ،ونقول ما نقول ونحيا الحب بأروع معانيه، ويأتي صوت أمي حبيبتي استيقظي تأخرت عن العمل !

أدخل مكتبه في الصباح بناء على طلبه، ويبدأ في قراءة التقارير ولا ينظر إلي ثم يثور، ولا أعرف لم ثار ويصيبني الذعر وأبكي ،مفاجأة لم أتوقعها غادرت أداري دموعي، صوته زلزلني

وأرجفني وتساءلت لم يتعمد إبكائي أسئلة لم يكن لها إجابه وقتها ، ولكن علمت بعد وقت طويل أن الغيرة الشديدة ربما رعونة شبابي وانطلاقي وكبريائي وخجلي ،ربما كان كل ذلك من أسباب ثوراته علي، وأعود إلى السفر إلى هناك إليه في مأوانا وأستمد حياتي وقوتي من سفري إليه ومن قوته هو ،وأعود إلى هنا، ودامت رحلاتي إليه هناك وعودتي إلى هنا، كانت هذه الإدارة تعنى بالمتابعة الإدارية والمالية لمفاصل الحكومة ، وتوالت عصبيته وغيرته واحمرار وجهه وصوته العالي الأجش وأزداد خوفا ووجل وأنا لا أعلم ما يدور بذهنه، كان جميل الطلعة ممشوق القامة أنيق وعطره ينتشر إذا مر كنت أراه أجمل الرجال.. يكبرني بعشرين عاما، وتهافتت نساء ديوان المحافظة عليه، لكنه كان جادا ولا يراهنّ.

ويطلبني لمكتبه وأدخل لأري سيدة جميلة تجلس أمامه وأقول حضرتك، ويقول من فضلك اجلسي وعلمت بعد ذلك أنه كان يتعمد وجودي أمامها كأنما يستنجد بي ، وخرجت هذه السيدة مسرعة تنظر إليَّ في غيظ شديد، ولم أفهم .. هل كنت غبية إلى هذا الحد؟ لم أعرف لم أفسر، ويزداد احتلاله لي وازداد أنا توحدا مع ذاتي، ويزداد عصبية ويزداد وجهه احمرارا، أصبحت أتردد بين ثلاث حيوات ؛ من واقع لا أدرى عنه شيئا وبيتي القديم معشوقي مرفأي ومأواي، وسفر إلى هناك أعود إليه في كل ليلة، حياة خفية أمارس فيها حق الحياة، أخلع عنه الجاكيت أحضر له الحمام وأساعده ، وأضحك وأرى الماء يتساقط من شلال شعره الأسود ،وأنظر في عمق عيونه السوداء دون خوف.. ويحكى ويحكي وأنا أنصت دون كلام .

كان الشباب حولي يشعرون باهتمامه بي، فكانوا يرسلون

الإشاعات لتصل إليَّ قالوا عنه الكثير الكثير، ولكني لم أر غيره ولم أشعر بغيره ،أرادوا إبعاد فكري عنه ، محسن كم ردد الأقاويل عنه وهو كان يعلم بالتفاف شباب الإدارة حولي، ويزداد غيرة وغيظا ، إشاعات ترددت عنه، قالوا عنه أنه زير نساء وأنه يعاقر الخمر، أكثر من كرر هذا الكلام عنه هو محسن ،بعد وقت علمت أن محسن وراء كلامه غرض شخصي ،أراد أن يبعد فكري عن جمال، علم جمال أن حولي العشرات من الشباب..

محمد موافي .. شاب من عائلة غنية متزوج من سورية جميلة، ومع ذلك كان يحوم حولي في سذاجة أحيانا، وفي صفاقة أحيانا، وكنت أحذر التعامل معه ،كان كل ذلك يصل إلى جمال .

حتى هذا القمئ(راغب) يا ساتر.. لزوجة وبرود ،لمَ لم انتبه أنني كنت محور تفكير جمال ؟

في كبرياء كان يدور حولي ويغار وفي صمت شديد ،ربما خشي من رعونة شبابي وقتها ،ربما خشي رفض محاولات التقرب مني ربما ...

واكتفيت برحلاتي إلى هناك اسأله ويجيب عليَّ واستمد منه طاقة أيامي، وقوتي كان معتمدي ومعتصمي ،هناك أقول له ما لا أستطيع قوله حقيقة ..

عرفته هناك عن قرب، كم كان رقيقا حانيا وحدة عصبيته الظاهرية كان يخفي وراءها رقة قلب وروح، كان ومازال هو النور في حياتي علمني كيف أكون ، أثر في شخصيتي فأصبحت بعد وقت طويل كأنني هو ،كأنما تلبسني بروحه..

عشت معه هناك إحدى حيواتي الخفاء، أصابني هنا حبي القوي له بالرهبة والخوف، كنت أراه عملاقا لا يطاله أحد .. خشيت أن يكون الحب مني مجرد وهما أجتره، لأنه لم يصرح لي أو حتى أشار أن هناك بداخله ما يكنه لي من مشاعر، لم يحاول أن يستوعب طفولتي ،أو يبد شيئا يشجعني التقارب منه ..

كان يشجعني ويدفعني للتخلص من خجلي وطفولتي، أصر ذات مرة أن أعرض بنفسي أعمال الإدارة على محافظ المدينة، وارتعدت وأنا أقف أمام المحافظ وتلعثمت ولم أستطع الكلام ، كانت إدارتنا تفتيش ورقابة مالية وإدارية، وازدهر اسم المحافظة في عهده واحتلت الصفحات الأولى في الصحف اليومية، كان جادا في عمله دؤوب يصل الليل بالنهار، وأشادوا به وباسمه ، كان يعشق دموعي يراني ضعيفة، مستمتعا بضعفي يصيبني الذعر من صوته العالي، مرة ألقى بالأوراق زاعقا:

- إيه ده مش معقول.

وطارت الأوراق في الهواء، وطبعا خرجت من مكتبه باكية دموعي تسبقني ، بعدها بدقائق يأتي عم أحمد الساعي الطيب ليقول لي:

- البيه عاوزك!!
- حاضر يا عم أحمد.

وأتلكأ حتى تجف دموعي، وفجاة أراه أمامي مبتسما بمكتبي، أتي ليقول بصوت عالي أيضا:

- هاتي الملف وتعالي.

رغم قوته كان يستنجد أحيانا عندما تأتيه إحداهن تستميله بحجة العمل، ذات صباح ناداني عم أحمد الساعي:

- البيه عاوزك..

دخلت مكتبه فوجدت رجاء هذه الجميلة أمامه، وهو يقول لي:

- اجلسي عاوزك.

وأنا بمنتهى البلاهة أقول:

- حضرتك عاوزني في شغل؟

يقول:

- أيوه اجلسي.

وما كنت أعرف ماذا يريد مني وهي تتلمظ غيظا بوجودي ، ويرد على دعوتها لتشريفه افتتاح دار حضانة ملحقة بديوان عام المحافظة، يقول:

- آسف أنا مشغول جدا، ما عندي وقت .

وتغادر رجاء هذه المكتب في غيظ شديد مني ومنه، هل كان يحتمي بوجودي؟ هل أراد أن يعرفها أني موجودة في فكره وعقله ؟ لم أفهم، يالغبائي الشديد!!

أدركت بعدها بسنوات كما قال لي:

- أيوة كنت احتمي بك.

اعود إليه في ترحالي له هناك.. كنت في المطبخ أعد له العدس الأصفر أكلة يحبها جدا خاصة في الشتاء، كان يعشق المطر مثلي، كم ركضنا مرات في المطر إلى مقهانا في منطقة محطة الرمل، يطل على البحر لنا مكان باسمنا ،محجوزة طاولتنا دائما لنا..

كنت أبتل بالمطر وهو يحتويني داخل معطفه الشتوي الأسود، ونركض حتى نصل إلى مكاننا بالمقهى اليوناني، وهذا النادل اليوناني يعلمنا وينظر إلينا في سعادة، ودائما كان ينتظرنا..

كم ظللتني قامته الفارعة من مطر، كم أخذ يدي الصغيرة ليعبر بي الطريق كم عشقت يداه.. لم يك يوما فارس أحلامي، لكن كيف استطاع أن يستحوذ على فكري.

في بدء التفتح للحياة أصبح محوري وأفكاري.

مرّ أمامي بقامته الفارعة ووجهه الأزهر هدبه أسرني، نظر إلي ألجمني وأنا ما زلت أخطو أول الخطوات في الدرب، فوجئت بي أعمل تحت إدارته، وبدأت تلك الرواية..

لم يفصح لم يدن لم يصرح، لكنه عصبيا أعلن أنه ساورته حيرة، شحنات الغضب المتوالية وأنا أبكي، لم أعلم لم يتعمد أن يراني باكية.

يستدعيني لمكتبه ثم يمزق أوراقي وينظر إلي، غموض وتساؤلات، ويتسلل في هدوء إلى عقلي، أقف أمامه أرتعد كريشة طائر ضل، ينظر إلي في دهاء ومكر، يتفحصني، يعلم أني طفلة في حقيقة أمري، احتل الفكر والروح مني، لم يصرح لكن الغيرة الصارخة أفصحت، كم بكيت ؟ لا أدر..

علمت أنه لا سبيل للفرار، أدركت أنه هو كل الحياة والمدد، يهاتفني بالروح وشم أبدي، أستقي منه الكلمات، ملهمي وأيقونتي! حوله أدندن وأكتب وله أقول الشعر والعشق، وأرتل تراتيلي..

هي كلمات لم أقلها ولن تقال إلا هنا في خبيئة ذكرياتي، هو هناك في مكان بعيد بعيد..

ذكرياتي هذه بعضها حقيقي إنما هي كل حياتي، حق الحياة كان الحب فيها هو البطل

حب حقيقي متخيل عشش في ذاتي حتى الأعماق، متمثلا في الأيام والأماكن والأشخاص، والأحداث حتي الأشياء الصغيرة والكبيرة، هي حقيقة كالخيال وخيال كان هو الحقيقة، ولم افرق بينهما يوما، أعيشها بكل كياني فهي حياتي وعمري، أعود إليه دائما إلى ظل كيانه، إلى أمكنة عبر فيها ومر وترك أثره، فهو مركز الحياة، أتمثله كأنني ألمسه أراه أحادثه يجادلني يحاورني أشم عبيره في كياني، عطره حتي رائحة سيجاره الكوبي يملأ صدري، أذهب إليه هناك في عالمه، ارتحل إليه ثم أعود، أعاشره أشاجره وأطعمه ويطعمني، وأجادله في كل أموري..

وعندما اعود إلى كوني أنا لا أدري أين الحقيقة؟ هل هنا الحقيقة أم هناك؟

أسافر إليه في سفينة فضاء ذاتي خلال مجرات وكواكب، وتُشحن طاقاتي كل طاقاتي هناك عنده، وأعود إلى واقع لا أعرفه ولا يعرفني، سفري إليه دائم، لا قرار ولا مقر!!

وأصبح الخيال هو واقعي، وانقضت أيامي في ذهاب وارتحال وعودة.. واستطعت في رحلاتي إليه أن ألمسه واضع يدي على شلال شعره الأسود، واستطعت النظر في عيونه السوداء الواسعة الحادة، وأغرق فيهما وكان وراء عيونه الكثير الكثير.. كم خشيت هذه العينان عندما كان هنا في متناول يدي وتحت بصري، كم كنت أرتجف عندما كان يمر بجانبي ويمتلأ صدري بعطره الفريد، وكم أثارت عصبيته ذعري وخوفي، إنه جمال..

ومازالت القصة لم تبدأ بعد ،إنها الكلمات والخطوات الأولى في خبيئة ذكرياتي..

دخلت مكتبه مرة أخرى لعرض بعض الأوراق كان عمل متعلق بمكتبة وبكل أعماله، كنت أتابع تقارير التفتيش وأعرضها عليه ،وأتولى مراجعتها ثم عرضها عليه، للعرض علي محافظ المدينة..

وفجأة قال:

- **ممكن تناوليني من فضلك علبة السجائر من الجاكيت.**

كان يدخن بشراهة شديدة، وللعجب كنت أحب رائحة سيجارته التي لا تنطفئ أبدا، دائما مشتعلة في يده..

كانت الجاكيت أمامي معلقة طبعا، ولم أرد عليه، لم أستطع الاقتراب من الجاكيت أو مد يدي في جيبه كما طلب..

هل خشيت عطره أو لمس الجاكيت التي تلامسه وخرجت متجاهلة طلبه العجيب وتوالت حكايات الغيرة والعصبية، والتصرفات الغير واضحة والغير مبررة لي وقتها..

وازداد خجلا وعدم فهم ويزداد احتلاله لي وتوغله في كياني وأنا لا ادري، الكل كان يفهم ويدرك مغزي تصرفاته معي إلا أنا..

كان يكبرني بعشرين عاما، كان رائع الوجه جميل الطلعة فارع الطول له هيبة فارس من الفرسان، كان أشيك الرجال وأكثرهم أناقة، شعره شلال أسود ناعم، عيونه واسعه سوداء، تهافتت عليه نساء الدنيا، لم يتزوج إلا مرة واحدة فشلت بعد أيام ولم أعرف السبب وقتها، وافاجئ بسيدة معه في المكتب من العاملين في المكان من خارج الإدارة، جميلة بيضاء شعر أصفر مصبوغ تضع ساقا على ساق، اغتظت وارتعدت، وتعجبت حيت قال لي:

- اقعدي من فضلك عاوزك.

وجلست قبالتها ونظرتْ لي في غيظ شديد، وفي رعونة أقف مرة أخري أقول:

- حضرتك عاوز مني حاجة؟

وينظر لي في غيظ ويقول:

- أيوه أقعدي عاوزك.

كأنما كان يستنجد بي منها وهي تنظر لي في غيظ، وفوجئت يقول لها:

- يا مدام رجاء أنا مش فاضي.

وخرجت مسرعة وتنظر لي في حنق تكاد تقتلني، ما هذا الغباء غبائي؟

هل منعني خجلي من الفهم أم لم أكن أتصور أني لديه مفضلة، وأنا ما زلت في بداية حياتي، أم غرور الشباب وكثرة الملتفين حولي من الشباب، وازداد توغله في ذاتي مع الأيام وانطبعت صورته في وجداني وازددت توحدا به وبذاتي، لم لم يبدأ هو بالمبادرة لم ؟

كنت أخشاه وأخشى كل الرجال، تربيتي الصعيدية الصارمة فكل أمر من الأمور عندنا له حدوده، التي لا يمكن تجاوزها أو تخطيها حتى النظر في عيون الآخرين كان محرما في قانون جدتي الصعيدية الصارمة، وأصبحت حياتي تتردد بين حيوات ثلاث!

واقع لا أعرفه، وبيتي القديم وهو واحتي ومرفأي وراحتي مع جدتي وأمي، وأعود إليه ليلا حين يأوي الجميع إلى فراشهم، حتى أعيش حياتي الثانية هناك معه في عالمنا السحري، أخلع عنه الجاكيت حين عودته مساء، وأحضر له الحمام، وربما ساعدته في الاستحمام برغوة الصابون المنعشة وأغسل له شعره الحبيب، واضحك ويضحك وأقبله في كل أركانه وأغرق معه ويغرقني، وابتل فيجرني لأستحم معه..

وتعودت ألا أسأله عن شيء، هو يحكي، وقتما يريد كيفما يريد يحكي!

أعرفه من عيونه من تقاسيم وجهه من صمته حين يشغل فكره أمر هام، ولا أتكلم ولا أسأل، كان أجمل الرجال وأحلاها وأعظمها وأكثرهم عصبية وغيرة..

احببته عشقته عاشرته عشت معه ،وتعلمت ألا أثير غيرته أبدا، وأتجنب أمورا قد تثير عصبيته وغيرته، لم أر غيره لم أشعر إلا به، كان يملأ كوني ويحتلني ويتخللني ذبت في كيانه فلم أعد أنا،

بل أصبحت وكأنني هو كأنما تلبسني..

مذ وعت عيني الحياة، وعلمت أني ليس لي ضلع، وأن النقص في القلب، وروحي مغادرتي دائما وأبدا، في رحلاتٍ إرادية لعالمي الخفاء، وأني لن يرافقني فيها إلا طيف رسمته، صنعته لي من تخيلي وأفكاري وأحلامي، وعلمت أن أمي هي يدي ونبراسي، وقالت لي:

- **بنيتي إنه هو فلا تضيعيه، منك لا تضيعيه.**

وضاع مني ولم أدرك أني ضيعتني، نظرة ثاقبة للغيب علمته مني، أجتر الذكريات والكلمات والوجوه، ووجه أمي لا يفارقني، تعاتبني تقول:

- **ألم أقل لك إنه فتاك لمَ أفلتيه وتاه منك...**

تهت في فلواتي وأدركت أني سأظل راحلة، دائما وأبدا راحلة مسافرة، بين القلم والحرف والخيال، وطيف صنعته وعالم أسافر إليه، أحقيقة أطير ؟ وأن لي جناحين ؟ أأكون أنا في كل الترحال؟ أم أخرى أكون؟ وتظل أسئلتي، وأحجيات قدري وحكاياتي في خبيئة الذكريات، من هذا الذي احتلني من أول لحظة رأيته فيها في بداية أيام عملي وشبابي كيف استولي على عقلي وروحي هل لشعوري بقوته وضعفي ربما !

لكنه كان شعورا غامر غامضا من هو من يكون ولمَ هو؟ مشاعر كثيرة لم تتضح بعد! لم تكن مشاعري واضحة ،لكنني أحسست كأني أعرفه وعشت معه قبل ذلك ،كنت أخشاه و أرتعب منه ،وحين يطلبني إلي مكتبه في عمل لم أك أنظر إليه، كنت أخشي النظر إلى عيونه السوداء الواسعة الثاقبة ، كأنه يتجول بداخلي

ويتفحصني، دخل محسن زميل لي إلى مكتبي ذات صباح، إنسان هادئ يحترم نفسه كثيرا ،وجلس قبالي قائلا:

- **تشربي شاي معي؟**

أجبت ضاحكة:

- **ممكن!**

ونادي محسن عم أحمد وقال:

- **عم أحمد ممكن كوبين شاي حلوين.**
- **حاضر استاذ محسن.**

وذهب عم أحمد و أتي بكوبين شاي ينبعث الدخان منهما في صباح بارد جدا ،كان الجو شتاء وأنا أعشق الشتاء برعده وبرقه وزعابيبه ،وانتشي فيه وأتحول إلى طفله ،تلهو بالبلل بالمطر كثيرا ماكنت أتسلل إلى سطح بيتي القديم لأغرق بماء المطر ،وأمي وجدتي تأتي إلي صرخاتهم:

- **انزلي يا بنت حاتبردي.**

وطبعا لا أرد ولا أستجيب إنه معشوقي المطر، وكان يصيبني بعدها برد وزكام وسعال لكن لا يهم!!

وأنا في هذه الافكار - وأمامي كوب الشاي الدافئ، وإذا بعاصفة مدوية وصوت عالي مخيف، وفتح باب الحجرة بعنف شديد ويقول بوجهه الأحمر ويقول:

- **قهوة دي ولا كافيتريا؟**

وخرج محسن مسرعا إلى غرفة المفتشين وعرفت أن هذا اليوم لن يمر علي خير.

وعاد فجأة – ذو الوجه الأحمر القاني - وقد خلع جاكتته وبيده ورقة كرتون كبيرة بيضاء ليسد بها فتحة المكتب ولم أفهم شيء!

وقلت لنفسي:

- أنا عارفة اليوم ده مش هايعدي علي خير.

نظرة مرعبة من عيونه وخرج مسرعا وصفق الباب وراءه في عنف، فانتفض كياني كله

- هو فيه ايه؟

اقول لنفسي..

وذهبت - ل إحسان - سيدة طيبة بيضاء - تقوم بأعمال الآلة الكاتبة في مكتبه - وقلت:

- تصوري اللي حصل على الصبح هو فيه؟ بيعمل كده ليه ؟

فنظرت الي ضاحكة نظرة ذات معان لم أفهمها وقتها وقالت:

- يعني أنت مش فاهمة!

وعلا صوته قائلا:

- يا عم أحمد نادي الآنسة- أنا طبعا- وخليها تجيب معاها تقارير التفتيش.

قلت لعم أحمد:

- حاضر يا عم أحمد، ربنا يعدي اليوم ده علي خير أنا مش عارفة بيعمل كده ليه في!!

ونظرة أخرى من هذا العجوز - عم أحمد - تحوي معاني لم أفهمها ،ودققت بابه وأنا أرتجف رد من الداخل:

- اتفضل.

ودخلت مكتبه وقد ازدادت برودة الجو حولي، ثم قال زاعقا:

- آخر مرة أشوف حد عندك في المكتب - من المفتشين - ده مكان عمل ، اتفضلي علي مكتبك وحطي التقارير هنا علي المكتب.

وخرجت وأنا لا أفهم شيئا، وعدت إلى منزلي بعد نهاية اليوم العصيب منهكة ،دخلت غرفتي و أغلقت بابها علي ورحت في نوم عميق، وصحوت على صوت أمي تقول:

- قومي يا حبيبتي الغدا جاهز ،تعالي افتحي نفسي على الأكل.
- حاضر يا ماما.

حين غفا الكل وناموا كنت معه هناك في عالمي الآخر ودنياي الأخرى وقلت له وأنا ألمس شلال شعره الأسود:

- أنا هنا معك أعيش حياتي وعمري.

هناك أقول له ما أريد قوله، وأفعل معه ما أحب وأتقرب إليه، وليس بيني وبينه مسافات أو بعد ،هناك معه أختصر كل الأبعاد والمسافات ، أشم عبير أنفاسه أضع يدي على وجهه الحبيب

،وأنظر في عيونه دون خجل أو خوف ، نتناول عشاءنا يطعمني في فمي وأطعمة في فمه ،ويأت صوت أمي:

- اصحي حبيبتي اتأخرتي على الشغل.

وللقصة بقية ومازالت لم تكتمل أركانها كلها.

وعدت إلى بيتي بعد يوم عاصف. أغلقت باب غرفتي عليّ ورحت في نوم عميق ،استيقظت علي صوت أمي الحبيبة تقول:

- إصحي حبيبتي .. الغذاء جاهز ،تعالي افتحي نفسي علي الأكل.

وفي المساء كنتُ هناك معه في عالميّ الآخر ودنيايّ الأخرى ،قلت له:

- أنا آسفة ،لم أقصد.

اعتذرت، وضعت يدي علي شعره .. معه هناك أعيش الحياة الحقيقية في حرية

أقول له ما أريد ،وأحيا حياتي في حرية ، وأتقرب إليه وليس بيننا مسافات، نتناول عشاءنا يطعمني في فمي وأطعمه في فمه ، ويبتسم في وجهي ابتسامته الرائعة

وينام ساعتين ليستعيد نشاطه، ويبدأ الجزء الثاني من اليوم ، وهو الليل معه و أنا حرة أمارس حريتي بكل جرأتي ، شخصيتي الحقيقية هنا في عالمي الآخر، ويأت صوت أمي - - - : قومي حبيبتي أتأخرتي علي الشغل ،الفطار جاهز ، يا لا حبيبتي.

وأعود إلى حياتي الأولى..

في الصباح أدخل مكتبه بناء على طلبه ، ويبدأ في قراءة التقارير بإمعان ولا ينظر إلي، كأنه لا يرانيّ ولايعرفني، وفجأ يثور ويقول:

- ايه ده.. كله غلط في غلط ، اتفضلي حضرتك.

ويلقي بالأوراق على المكتب ، ويصيبني ذعر من احمرار وجهه ، وثورته الغير مبررة ، وغادرت مكتبه ودموعي أداريها ،ولكنها سبقتني إلى وجنتاي ، كان يعلم ببكائي فهو يعرفني، كلامه وثوراته تزلزل كياتي تبكيني ، لماذا يبكيني لا أدري؟؟

سؤال ظل بلا جواب لفترة طويلة ،ولكنني أعلم الآن وبعد مرور سنوات أنها كانت الغيرة القاتلة، ربما تغافلت أنا عن هذا المعني وقتها ،أو ربما لم أكن أصدق.. احتمال غرور الشباب في ورعونتي وكبريائي وخجلي وقلة حيلتي.. وكلها أسباب أني لا أفهم.

ويأتي المساء أذهب اليه هناك في دنياي الأخرى، في سفر يومي الي مأوانا هناك ،أعيش معه، استمد منه القوة والقدرة وأنهل من عذب منهله، وأرتوي وأحيا.

وأكمل الأيام معه.

وككل يوم أعود في الصباح إلى عالمي الأول.. أراه في مكتبه يملأ الدنيا نشاطا وحيوية وضجيجا أيضا.

ويسألني:

- مالك ؟ أزيك النهاردة ؟

كأن لم يحدث شيء، وأرد عليه دون أن أنظر إليه:

- تعبانة.

فيرد:

- كل ما سألتك ازيكّ تقولي تعبانة.. تعبانة .. تعبانة.

ثم ابتسم وقال لي:

- إيه الشياكة دي النهاردة ؟

كنت أرتدي تايير بني، وبلوزة روز ،أظهرت احمرار وجهي.. ولم أرد طبعا كعادتي، وخرجت مسرعة وأنا متأكدة من زيادة حمرة وجهه من الغيظ.

كنت أعمل بمتابعة أعمال الإدارة كلها ومكتبه ، كانت إدارة للتفتيش والتحقيق المالي والإداري.

أصر هو علي تدريب العاملين والمفتشين بالإدارة على كافة برامج التدريب المالية والإدارية والمستندية والتحقيقات ، وفاجأني في يوم يقول فجأةو أنا أمامه نراجع بعض التقارير إذ به يقول:

- من فضلك قومي هات لي علبة السجائر من جيب الجاكيت.

كان يدخن بشراهة شديدة ،تكاد السيجارة لا تفارق يده أبدا ،وللعلم كنت أعشق رائحة سجائره معطرة بعطره الخاص به.. ومازالت أشمها حتى الآن ،كانت الجاكت أمامي معلقة لم أستطع القيام من

مكاني أو حتي الاقتراب من الجاكيت ! هل خشيت عطره أو لمس الجاكيت الذي يتعطر برائحة جسده الفارع الممشوق ؟ وخرجت متجاهلة هذا الطلب الغريب.

وتوالت قصص وحكايات الغيرة ،والعصبية ، والتصرفات الغير واضحة منه ، والغيرة الغير مبررة لديَّ وقتها.

وأزداد خجلا وعدم فهم ، ويزداد احتلاله لكيانيّ وتوغله في أعماقي ،وأنا لا أدري ولا أعلم من أمري شيئا.

دخلت مكتبه مرة أخرى لعرض بعض الأوراق، كان عمل متعلق بمكتبه وبكل أعماله، كنت أتابع تقارير التفتيش وأعرضها عليه، وأتولى مراجعتها ثم عرضها عليه، للعرض على محافظ المدينة ،وفجأة قال:

- **ممكن تناوليني من فضلك علبة السجائر من الجاكيت**

كان يدخن بشراهة شديدة ،تكاد السيجارة لا تفارق يده أبدا ،وللعلم كنت أعشق رائحة سجائره معطرة بعطره الخاص به.. ومازالت أشمها حتى الآن ،كانت الجاكت أمامي معلقة لم أستطع القيام من مكاني أو حتي الاقتراب من الجاكيت ! هل خشيت عطره أو لمس الجاكيت الذي يتعطر برائحة جسده الفارع الممشوق ؟ وخرجت متجاهلة هذا الطلب الغريب.

ويزداد احتلاله لي وتوغله في كياني وأنا لا ادري، الكل كان يفهم ويدرك مغزي تصرفاته معي إلا أنا، كان يكبرني بعشرين عاما، كان رائع الوجه جميل الطلعة فارع الطول له هيبة فارس من الفرسان، كان أشيك الرجال وأكثرهم أناقة، شعره شلال أسود ناعم، عيونه واسعه سوداء، تهافتت عليه نساء الدنيا، لم يتزوج

إلا مرة واحدة فشلت بعد أيام ولم أعرف السبب وقتها، وأفاجئ بسيدة معه في المكتب من العاملين في المكان من خارج الإدارة، جميلة بيضاء شعر أصفر مصبوغ تضع ساقا على ساق، اغتظت وارتعدت، وتعجبت حيت قال لي:

- أقعدي من فضلك عاوزك.

وجلست قبالتها ونظرت لي في غيظ شديد، وفي رعونة أقف مرة أخرى وأقول:

- حضرتك عاوز مني حاجة؟

وينظر لي في غيظ ويقول:

- ايوة اقعدي عاوزك.

كأنما كان يستنجد بي منها وهي تنظر لي في غيظ.

وفوجئت يقول لها:

- يا مدام رجاء أنا مش فاضي.

وخرجت مسرعة وتنظر لي في حنق تكاد تقتلني، ماهذا الغباء غبائي؟

هل منعني خجلي من الفهم أم لم أكن أتصور أني لديه مفضلة وأنا ما زلت في بداية حياتي؟ أم غرور الشباب وكثرة الملتفين حولي من الشباب، وازداد توغله في ذاتي مع الأيام وانطبعت صورته في وجداني وازددت توحدا به وبذاتي، لم لم يبدأ هو بالمبادرة لم ؟

كنت أخشاه وأخشى كل الرجال، تربيتي الصعيدية الصارمة ؛فكل

أمر من الأمور عندنا له حدوده التي لا يمكن تجاوزها أو تخطيها ،حتي النظر في عيون الآخرين كان محرما في قانون جدتي الصعيدية الصارمة، وأصبحت حياتي تتردد بين حيوات ثلاث، واقع لا أعرفه وبيتي القديم، وهو واحتي ومرفأي وواحتي مع جدتي وأمي، وأعود إليه ليلا حين يأوي الجميع إلى فراشهم، حتي أعيش حياتي الثانية هناك معه، في عالمنا السحري، أخلع عنه الجاكيت حين عودته مساء، وأحضر له الحمام، وربما ساعدته في الاستحمام برغوة الصابون المنعشة وأغسل له شعره الحبيب، وأضحك ويضحك، وأقبله في كل أركانه وأغرق معه ويغرقني وأبتل فيجرني لأستحم معه، وتعودت ألا اسأله عن شيء،هو يحكي وقتما يريد كيفما يريد، يحكي ..أعرفه من عيونه ،من تقاسيم وجهه من صمته حين يشغل فكره أمر هام ولا اتكلم ولا أسأل، كان أجمل الرجال وأحلاهم وأعظهم وأكثرها عصبية وغيرة، أحببته عشقته عاشرته عشت معه، وتعلمت ألا أثير غيرته أبدا، وأتجنب أمورا قد تثير عصبيته وغيرته، لم أر غيره لم أشعر ألا به كان يملأ كوني ويحتلني ويتخللني ،ذبت في كيانه فلم أعد أنا، بل أصبحت وكنت هو كأنما تلبسني، وفي كل عودة لي من هناك أعود في ساعة محددة كسندريلا تعود عند دقات الثانية، عشر ليلا أعود بقوة قسرية مجبرة ،أعود وكم تساءلت إلى متى ترحالي إليه هناك وعودتي، البائسة وكم توسلت أن يتركوني هناك معه، وإلى من كنت أتوسل؟ لا أعرف إنما توسلي كان إلى كائنات لا أدركها! وأنا مشدودة إليه مكبلة حياتي ونبضي معه هناك، وكان إقلاعه هو إلي هناك بلا عودة..

والفقد المروع أذهلني، ففقدت سبل الكلام، مزلزلة كنت لكن في سكون وهدوء، وفي رحلاتي إليه أتساءل ما الزمان ؟وكان وظل

سؤال بلا إجابة ؟

وأنا في مكاني هنا أرتحل وأطوف وأمر بكل الكواكب والمجرات، كوكبا بعد آخر ..وكم صاحبتني وألقت إلي السلام الزهرة، وصاحبني عطارد كوكباي الحبيبان، واختزلت الزمان وتتوقف الساعات وعقاربها ويتوقف الزمان، زماني لم يكن زماني بل زمانه هو فقد تلاشي زماني في زمانه!

حين رأيته أول مرة تلعثمت وفقدت النطق، ولم أقو على النظر إليه، ماذا كان يفعل وجوده في؟ لا أدري.. ولما لمحني لأول مرة في اجتماع كبير أحمر وجهه ،ولمحة واحدة مني أدركت وسجلت صورته في كياني، نظرته السريع إلى لم أتبين معناها وقتها، ولكن أربكتني وتعرقت خجلا، وفي مكتبه جلست أمامه لا أقو على رفع عيوني إليه ،ووجدت نفسي أعمل كخريجة جامعية حديثة تحت إدارته...

سألني عدة أسئلة لم أجب علي أي منها لأنني كنت في واد آخر، وعلمت أنه كان أحد ضباط الجيش المعروفين، وكان العرف وقتها تولي الضباط السابقين، وظائف إدارية في الدولة...

كم تبدلت العقول والقلوب بعد أحداث تاريخية هزت المنطقة العربية بأكملها، وتغيرت خرائط وتبدلت حكومات، وكان الألم من أحداث يغلف القلوب والعقول، الصقر الأسمر الفارس والحركات التحررية ونداءات القومية العربية، ورحل الصقر في موجة حزن عارمة ليترك الوطن العربي في فوضي عارمة، وأصاب الجميع وقتها خيبة أمل وفقدان للثقة في كل الثوابت وفي نداءات القومية العربية، جلست أمام مديري هذا - كطفلة - كان معايشا لتلك

الحقبة التاريخية والتي غلفت شخصيته بكل صفات ضباط الجيش..

كنت أجلس أمامه في مكتبه مبهورة بأحلام البطولة والزعامة ،وكنت أتصوره دائما في معارك خاضها كل هذا شكل شخصيته في وجداني، وأحتل تفكيري فإلي جانب كونه ضابط سابق كان رائع الجمال بالمعني الاسطوري؛ مديد القامة عيونه سوداء حادة كعين الصقر لا يقاومها إنسان فما بالك بي ان أنا، وأنا طفلة ما زلت في أول أيام الشباب، وأثرت في تربية جدتي الصعيدية التي قالت لي يوما:

- **إياك أن تنظري في عيون أحد وأنت تتكلمين معه.**

لم أدر وقتها ماذا تعني تلك الجدة الصعيدية جدا ،إلا بعد ذلك بوقت طويل، حين علمت أن العيون هي مرآة النفس والروح، وبها يظهر كل ما بداخلي..

وقالت بلهجة صعيدية العيون هي المفتاح هل تفهمين.

ولم تكن مشاعري نحوه واضحة ولكنه احتل الكيان، ومازال محتلا لا يبرح وجداني أذكرك حبيبي، حاولت لقاءك، تجرأت وتشجعت وحضرت إلى مكتبك بحي شرق، فوجئت أن سكرتيرك الخاص إبراهيم يقول لي مما صدمني:

- **مش بيقابل حد..هو مشغول جدا.**

قالها بشكل غير محترم ، اتصلت بك تليفونيا..فوجئت بوضع السماعة في وجهي ويضحك بصوت عالي يقول:

- علشان تفهمي وتعرفي كان استفزاز مني .. تيجي تتخانقي تثوري علي تبكي.

وقام مستأذنا بغلق التليفون قليلا لعمل فنجان القهوة، بدأت مكالمتنا الساعة السادسة مساء ونحن الآن العاشرة مساء ،يا الله كيف مر هذا الوقت بسرعة!

والمطر في الخارج سيول والرعد يصاحبنا، والشتاء له شجونه وشئونه، كم أعشق الشتاء والمطر في هذه الليلة له وقع آخر.

حزن غامض شجن و شوق، حب تجدد اشتعل العشق التهبت مشاعري، وتولعت لاحتضانك والذوبان فيك، اشعلتني ياه ليتني بجانبك كم أريدك الآن !

آآآآه لو تأتيني الآن.. ماذا أفعل لو رأيتك الآن بعد كل هذه السنوات ؟بعد الحب العارم المخبوء في الصدور وفي الأرواح!

عمري مضي أنا معك لم أفارقك لحظة ،كنت قائدي وحياتي ونبضي رغم البعاد القسري، ما نسيتك ثانية روحي فيك.. أنت في كل خلية مني...

أشعل المطر رغباتي وبراكيني المخبوءة في كياني انتظره ، يعاود الاتصال:

- تشربي قهوة معايا، يا ريت..

وأشعر به يشعل السيجارة التي لا تفارقه أبدا ، ضحك:

- عارفاني كويس أنت يا حبيبتي.

يسألني:

- **بردانه حبيبتي؟**
- **اووووي حبيبي.**
- **تعالى في حضني...**
- **استني حبيبتي ألبس الروب وآجي فورا إليك، دقائق في السيارة أكون عندك.. نفسي أشوفك واحضنك ولنكمل كلامنا وجها لوجه، وحشتني عيونك وحشني كل حاجة فيك يالا قولي آجي ما فيش وقت نضيعه كفاية..**
- **أنا جاي آخدك.**

وارد مسرعة:

- **لا لا لا حبيبي، الدنيا برد عليك ،المطر شديد عليك...**

أخيرا قلت حبيبي، ياه.. كم انتظرت هذه الكلمة.

- **بكرة ضروري إن شاء الله أشوفك.**

ويباغتني:

-إحكي لي عن زواجك.

رددت:

- **لم يكن زواجا بل سجن وعذاب، لم يكن زوجي يوما، بل أنت زوجي الحقيقي.**

يستأذن مرة أخري:

- **شوية وأرجعلك... لاتغلقي الخط مش ممكن أقدر أسيبك بعد كده، كفاية اللي راح منا كفاية.**

ثم يعود لنكمل كلامنا:

- **سيجارة تاني، كفاية سجاير.**

يضحك:

- **عارفة عني كل حاجة، حاسة بكل حاجة فيك ..كل حاجة.**

اشم رائحتك الآن مع رائحة سيجارتك التي لا تنطفئ منذ سنوات طويلة..

كم عشقت سيجارتك هذه وكم كانت غيرتي منها، كانت أقرب إليك مني، لامست شفتاك دهرا، كم أشتاق إليك حبيب، إلى كل ما فيك شعرك شلالك الأسود، عيونك يداك كم هي رائعة !كم تشوقت أن تضمني بها إلى صدرك.

- **نفسي تلمسني دلوقت حالا نفسي تحضني، نفسي تلمس كل حاجة في...**

ويباغتني بسؤال:

- **هل سمعت ما قالوه عني في الصحف؟**

توالت الأيام هنا وهناك ولم أعد أعرف الفرق بينهما / ما بين واقع وخيال... قالوا عني حصان جامح، من يلجمه؟

لم أخضع يوما لسواك، أتمرد بطبيعتي أعشق الحرية... وهناك في عالمنا أنا جارية لك

انتظرك حين تعود، أحب خضوعي الحر لك، نسمة لك، أخلع عنك حذائك، أمسح عن جبينك حبات عرقك، أعشق استسلامك لي

كوليدي، عينك ترعاني ..حنانك باد.. تناولني لقمة في فمي كعادتك ، تشكرني وفي نظرة تطلب مني في نداء من عيونك السود:

- اتركي كل شيء وتعالي.

اهتز مع هذا النداء منك.. أنفاسك على وجهي تعطرني تشجيني، وتتوالى الأيام بيني وبينك ويذهب كل شيء وتبقي الكلمات، وتذهب الأحباب ..يذهب قائلها وتبقي الكلمات، وللكلمات منابع في القلوب، والكلمات تهدهد روحي وتشفي علة قلبي وتروي عطشي، وزرعتك يا حبيبي في سنوات العمر.. وفي السحابات

تزخ المطر زخاً.. أزرعك في واد الخير.. تزهر حقولي وتشبع أرضي العطشى.

في واد الخير زرعتك ..أظهرتك كيانا ووجودا ..وأصررت عليك في قلبي وعمري...

ملأت بك الاجواء ظلا وعطوراً ..قرأتك في رواياتي.. رويت لك في لياليا كل ليلة رواية كشهر زاد..

وفي فراقك أُدمي القلب ..داريت الدموع جفت عيوني ..أدركت مرارة الذهاب ..كنت وما زلت أسطورتي، إليك وحدك أتجه بوصلتي إليك...

ألقي أحمالي عندك أجرُ الروح، وبجناحين ضعيفين أتجه إليك .. تخليت عن كل علاقاتي واتجاهاتي، وصنعت لي عالماً معك عشت فيه عندك في أعمار ثلاث، حيوات ثلاث، أتنفسك وأتنفس الحرية معك...وحدي معك، وحدي في الرواية ..أنا العاشق، والشعر

والرواية، عندك أتخلى من أوهامي وأحلامي ..ألبستك في عالمي ثوب الاسطورة

كم تمنيت عند فراقك ورحيلك القسري، وفقدانك واللوعة التي أفقدتني اتزاني كم تمنيت،

أن ألقي نفسي في بؤرة إعصار عات كي أفقد ذاكرتي، أدور أدور بقوة الإعصار ،ويطردني الإعصار خارج القوانين، يأخذني إليك هناك ،إلي زمانك خارج كل قوانين الكون والزمان ، لأعيشك هناك في زمانك ،وأنسى زمان غير زمانك، حبي لك طهارتي ونقائي، ففيه عبادة وإيمان، وفيه تميزي وتفردي، فيه سلامي وأماني، وبالحب أرسو في مرساك، أسكنك في مقام الوجد، وشعر ببكائي فقال:

- **أرجوك لا تبكي، مش عاوز دموع ما أحتمل بكائك وانت بعيدة عني.**

يقول:

- **كانت دموعك تعجبني جدا.**

يقولها وهو يضحك:

- **أصل وشك بيبقي جميل اووووي وأنت تبكي.**

كم تمنيت وقتها أن أضمك إلى صدري وأنت تبكي، كان ضعفك يؤثر في ويعجبني ويمتعني طفولتك..

وأسأله:

- **ماذا بقي مني في خيالك؟**

يقول:

- **عيونك الواسعة الرائعة كم أحببتها و...**

ولحظة صمت ويكمل وهو يضحك:

- **وسيقانك.**

ضحكت:

- **ياه .. علشان كده ..مريت وبصيت علي المكتب بتاعي وفوجئت بيك جاي ومعاك فرخ كرتون أبيض ومسامير ، تسد بيها فتحة المكتب يبدو انك رأيت سيقاني فأخذتك الغيرة وشك كان أحمر جدا.**

ضحك بصوت عالي:

- **لسه فاكره ؟**

عمري ما نسيت ولا حاجة ابدا ابدا.

- **كنت أغير عليك بجنون وأنت لا تشعرين، كنت اتعصب واثور ويعلو صوتي لمجرد اسمع صوتك تضحكين مع أحد المفتشين.**

ويباغتني:

- **نفسي احضنك دلوقت حالا، والمطر سيول يشاركنا عاصفتنا، لم تفهمي اشاراتي ،رغم طفولتك كنت اخشاك ، خشية من رعونتك كتمت مشاعري لئلا تفهميني غلط.**

وأرد أقول ليتك صارحتني:

- رأيتكَ هرماً وأنا الطفلة بجوارك ، كنت أخشاك واحبك في آن لم أر غيرك في حياتي.

ويرد:

- خشيت الكلام والتصريح من ردود أفعالك الطفولية، وأنت لا تدركين تلميحاتي خاصة ونحن في مجال العمل، الكل يراقب..

ويرد:

- هرم إيه يا حبيبتي؟

ارتجفت حين قالها أول مرة أسمعها منه.

- دا انا كنت باخاف من طفولتك جدا جدا، لم تكوني صغيرة ابدا رجاحة عقلك والتزامك وذكائك واحترامك لذاتك رغم صغر سنك، كان محل اعجابي.
- بالعكس كنت اشعر أنك أقوى مني بكتير..
- اعجبني فيك شراستك وبريتك ووحشيتك وشخصيتك التي اوقفت الجميع عند حدهم، حدودا رسمتيها حولك، لم يتجرأ احدهم علي تجاوزها، شراستك وجمالك البري اوقف الجميع والجمهم وكنت سعيد بهذا جدا.

قلت له:

- انت الوحيد اللي كان ممكن يروضني.

ويذكرني بواقعة ضربي فكري هذا، بالقلم على وجهه لأنه لمس ذراعي، بكي فكري من المفاجأة.

واسمعك تقول له:

- **يا ابني البنت دي بميت راجل!!**

ويقول:

مرة كنت عاوز اجيب المسدس واقتلك برصاصة واحدة في دماغك وأخلص منك وارتاح. يقولها وهو يضحك بصوت عالي جدا.

ويصيبني الذهول:

- **بجد!!**
- **اه والله. فاكرة محسن؟ اللي طلق مراته علشانك؟ الست اتجننت لأنه كان يناديها باسمك.**

وأرد:

- **عارف ده جه قابل امي وكان عاوز يخطبني، وانا رفضت طبعا تقريبا كده طردته وقلت له اتفضل روح لمراتك وبنتك.**

ويرد في غيظ:

- **جاية تقولي الكلام ده دلوقت ياشيخة حرام عليكي...**
- **ياحبيب عمري لم أحب غيرك ، لم ار غيرك، لم اتأثر بغيرك ابدا طول عمري، كنت أنتظر منك أنت المبادرة والتقدم، انتظرت خطواتك نحوي ولكنك لم تفعلها ليتك فعلتها كنت وفرت علي حاجات.**
- **فظيعة اووووي...**

- كان يكفيني منك خطوتك الأولي نحوي، كنت سأجري ايك وارتمي في صدرتك ليتك فعلتها ليتك.

ويرد:

- دلوقت بس أعرف إني أغبي إنسان في الدنيا.

أسأله:

- لم لم تتزوج؟

يرد:

- كان في حياتي بنت صغيرة عنيدة لا ترضخ، مكابرة شرسة عنيفة، لا ترضخ أبدا لم أر سواها، عشقت عيونها وبراءتها وشراستها وقوة عقلها، فلم أتزوج لأني كنت أريدها هي.

ويكمل:

- كان حولي الكثيرات تعلمين انتِ بعضهن..
- آآآآآه، رجاء هانم .. فاكراها.

ردي كان سريعا جدا، ضحك بصوت عالي وقهقه، وأكمل:

- أنا كانت تصلني أخبار عنك ليتني تحققت منها، قالوا عن سهراتك، كان هناك تعمدا خاصة من محسن هذا.
- كم رددت على مسامعي تلك الأخبار عن سهراتك وصديقاتك.
- يا للغباء! ليتك ثرتي ليتك تكلمت، ليتك قلتي ما رددوه عني، كنتُ اتحصن بك رغم صغر سنك فاكرة؟ رجاء دي

أتت إلى مكتبي وأرسلت عم أحمد وطلبتك، وتجلسي أمامها في مكتبي وهي تحاول استمالتي وأنا أتحصن بك وأحتمي بك من محاولاتها المتكررة خاصة ونحن في العمل، سألتني هي رجاء دي، إيه اللي بينك وبين البنت دي؟ رددت عليها بعنف شديد لدرجة انها بكت وخرجت مسرعة، من مكتبي، وأنا أقول إياكي تقولي عليها بنت مرة تانية، دي حاجة كبيرة أووووي عندي لازم تعرفي يا مدام إنها حياتي.

ويكمل:

- **وقتها تمنيت أن أصفعك على وجهك لتعرفي حبي لك، ولتدركي احتياجي لك، أخليك تبكي وبعدها أحضنك.**

أرد أنا:

- **يا ريت كنت عملتها، ياريت ليتك اتيت لتنقذي من جحيم عشته بعيدة عنك في زواج كانت النار ارحم منه والموت، كم تعذبت وبكيت كم تمنيت لو أتيت لإنقاذي، كان اغتصابا لكياني ليس زوجا كرهته من أول يوم من أول لمسه، كان حيوانا شرسا غبيا بذئ ووقح، كانت اهانات وضرب ولم يستطع أن يلمسني أبدا، كرهته من أول ثانية...**

ويردد ويختنق صوته:

- **ياه يا حبيبتي كل ده، تصورت أنا بغبائي أنك سعيدة فابتعدت عنك.**
- **خشيت يوما الطلاق، ولكن لم أقو على الاستمرار في المهانة، وبدأت حرب الخلاص منه التي استمرت سنوات،**

اجهدتني واضنتني وعذبتني، والله يا حبيب عمري، كنت أتمثلك حولي أشعر بك تطوف حولي، أشعر بأنفاسك، أراك في أحلامي، كنت وما زلت معي عشت حياتي في ترحال بين واقع مر إلى حياتي هناك معك في حياة أتمثلها ،أعيشها معك هناك، كم نمت بجوارك أنت وشعرت بلمساتك.. وفي مرة تشجعت وقررت أن آتي إليك في مقر عملك الجديد في حي شرق المدينة، لكن المفاجأة كانت صادمة جدا لي، عشت في قصتي هذه ثلاثة أعمار، وثلاث حيوات معه هو حبيب عمري، حيا يسعي طيفا خيالا وأحلاما ومعاني، لم يكن هناك فراق أبدا، بين هنا وهناك أتردد، واختلطت الأمور وتوالت أيامي، هنا وهناك ولم أعد أفرق بين هنا وهناك، ما بين واقع وخيال، قالوا عني فرسة جموح.. لم أخضع إلا لك يا حبيب العمر، كرهت القواعد إلا معك، متمردة كطبيعتي الوحشية إلا معك أمارس الحرية، إلا معك، وتمر الأيام والسنوات بين واقع غريب، وأحلاما تراودني وذكريات اجترها .. استعيدها ..أستعذبها أعيشها، وهناك كنت جارية لك، أعشقني جارية لك، وأحب خضوعي الحر لك، انتظرك حين تعود نسمة ندية، أخلع عنك حذائك، أضع قدميك في إناء الماء الساخن، أجفف حبيبات العرق عن وضاء جبينك، عشقت استسلامك لي كوليدي، ألثم جبينك حيت تغفو، أقبل يداك، أسألك حين تهدأ أخبارك إيه حبيبي؟ وعيناك ترعاني تناولني لقمة في فمي تشكرني في نظرة تطلب مني في نداء اتركي كل شيء وتعالي بجانبي، أنفاسك سكني وسكوني ومأواي، أمارس حريتي معك بكل الحرية، وكثرت رحلاتي بين حيواتي، أغفو

أنام أصحو أحياك، وتبقي أيام العمر بيني وبينك، ويذهب كل شيء وتبقي الكلمات، يذهب قائلها وكاتبها وتبقي الكلمات، والكلمات تهدهد روحي وتشفي علة قلبي تروي عطشي، زرعتك العمر حبيبي، في السحابات تزخ المطر زخا، زرعتك في وادي الخير، أظهرتك وجدا وكيانا ووجودا، أصررت على وجودك، ملأت الأكوان بك عطورا، قرأتك كتبتك في رواياتي وأشعاري، رويت لك في كل ليلة رواية، كشهر زاد، وفي ألم فراقك داريت دموعي من مرارة ذهاب مباغت.

عرفته هناك عن قرب، روحه.. ذاته الشفافة الحالمة الحانية كان يخفيها وراء حدة وعصبية مصطنعة.. أشبعني في قربه دللني ناداني بأحب الأسماء عيونه مرفأي أمن في سنوات أتت بعده، كان النور ومازال استمد منه القوة!!

عندما أسافر إليه إلى عالم أحلى من وجودي ومن كل الوجود، وليس ككل الحيوات والتقلب في الأيام، لم لم يقل ما كان ينبغي أن يقوله في جواري؟

لم لم يختصر المسافات بيننا؟ كم انتظرت أن يبوح أن يصرح، كان يكتفي بالإشارات والتلميحات ولم أستوعب، وأصابني حبي له بالخوف والرهبة، كنت أراه عملاقا وأنا الضئيلة الحجم، وكنت أراه أكبر من تخيلاتي وأحلامي، خشيت أن يكون حبي وهما، خشيت أن أفسر إشارته تفسيرا خاطئا.

طفولتي الداخلية كبلتني، بطء الفهم والاستيعاب كبلني، آثرت التوحد بذاتي خوفا من صدمتي فيه، كنت هشة رقيقة ضعيفة وما زلت رغم تصور البعض لقوتي وعنفي! وبجواره أخذني العمل وقربني إليه كان يشجعني للتخلص من طفولتي ومواجهة

الأحداث، أجبرني ذات مرة أن أقوم أنا بعرض تقارير العمل علي محافظ المدينة، ارتعشت وذعرت قلت:

- **أنا .. لا.**

رد:

- **أيوة انتي.**

وفي عهده ازدهرت المحافظة كان دؤوبا محبا للعمل، واحتل اسم المحافظة الصفحات الأولي من الصحف محافظة أولى في كل شيء؛ نظافة متابعة إجادة، كان يعشق دموعي، كم ابكاني ليري دموعي ويسعد بها! كم كان يصرخ في وجهي-ايه ده - ثم يرمي بالملف على المكتب وأبكي أنا، كم أسرعت من مكتبه وأنا دامعة؟ ثم يستدعيني بعدها عم أحمد:

- **اتفضلي البيه عاوزك.**
- **حاضر يا عم أحمد.**

واتلكأ في الذهاب، وفجأة أراه أمامي في مكتبي بقامته يملأ الافق أمامي، بابتسامة رائعة:

- **هاتي الملف وتعالي.**

كم كنت غبية فلم أفهم صوته العالي، لم يخف ابتسامه عيونه الحانية، كان يستنجد بي احيانا ولم أفهم، كم استنجد بي حين أتت هذه رجاء كانت تطارده ويستدعيني فورا لأجلس أمامها ولم أفهم، كان وجودي أمامها يقطع عليها محاولاتها لاستمالته او لفت نظره اليها، ولم أفهم، أدركت بعدها بسنوات كم كنت غبية! وأعود إليه إلي عالمنا، إلى بيتنا هناك، في المطبخ أعد له وجبة

يحبها؛ في الشتاء يحب جدا شوربة العدس الأصفر، كان يعشق المطر مثلي تماما، كنا نبتل معا ،كان مكاننا المفضل يسمي الصالون أمام البحر مباشرة، تظللني قامته والمطر يغرقنا ونضحك، يحتويني ومعطفه الأسود الحبيب وألتصق به حين يعبر بي الطريق آخذا يدي الصغيرة، وتغوص في يده، مازال ملمس يده في يدي وكياني، كانت يداه كل الحنان والمعتمد والسند، أحفظ كل خلاياه، كم بللنا المطر معا، كم تأملنا في مكاننا هذا العابرين أمامنا من الزجاج، هذه المائدة كانت مائدتنا دائما بجوار النافذة المطلة علي البحر، الكل هنا يعرفه، كم كنت أشعر بالزهو وأنا بجانبه ومعه كان عظيما جميلا، وأشعر به ورائي.. شعرت بأنفاسه في عنقي، ويداه تحتويني من ظهري وأنا أعد له طبق العدس الأصفر في المطبخ، ثم يقول:

- **سيبي كل حاجة وتعالي عاوزك.**

إلى مأوانا يأخذني، جنتي التي شهدت حواراتنا ولياليناـ واستقرار أرواحنا وقلبينا، واتحادنا وعشقنا، ويسمعني أحلي الكلمات واعترافات الحب والوجد والعشق، بكل تعابير برية وحشية بكر، موروثات آدم وحواء حين قال وقلت وتخللني، سألني:

- **مالك حبيبتي.**

قلت:

- **عندي لك مفاجأة.**

ويباغتني بسؤال:

- **سمعت ما قالوه عني في الصحف والجرائد، عندما كنت**

رئيسا لحي شرق هل صدقتي ماقالوه ؟

رددت عليه بسرعة:

- **لا طبعا لم أصدق ما نشر عنك في الجرائد، أعرفك جيدا، عاشرتك سنوات في العمل عرفت عنك كل شيء.**

ويحكي:

- **أقولك وقفت في وجه عصابة مافيا الأراضي، عارفة عني حدتي في الحق طبعا ليتخلصوا مني لفقوا لي تهمة للتخلص مني، وكانت قضايا أمام المحاكم أثبت القضاء براءتي لكن للأسف لا تنشر أخبار البراءة ، لكنها تنشر أخبار الفضائح، كانت إشاعات وتلفيقات مغرضة ، تم نقلي إلى مكتب آخر بالإسكندرية بلا عمل طبعا ، مجرد كشك صغير اسموه مكتب اتصال، تصوري للتنكيل بي لمجرد أن أدافع عن الحق وأحارب الباطل....**

أررد وأنا أبكي ويسمع دموعي:

- **أنت أشرف إنسان في الدنيا.**

ذرفت دمعا كثيرا:

- **كفاية دموع أرجوكي مش قادر اتحمل دموعك ياريتك قدامي دلوقت يا حبيبتي امسح دموعك بطريقتي.**

اضحك:

- **ازاي؟**

يرد:

- **ماحدش عارفني أدك انت وحافظني أدك ، عارف حنانك وطيبة قلبك ، اعلمك جيدا حبيبتي واعرف قلبك الحنون**

وسألته:

كلمني عن زواجك.

يرد في ضيق:

- **موضوع سخيف لم ار فيها ما يعجبني ، متعجرفة متسلطة لسانها طويل ياه حرام عليكي، ليه فكرتيني بالتجربة الخايبة دي؟ والعجيب انها نشرت هذا الموضوع برضه في الجرائد انتقاما مني!**
- **فعلا أنا قرأت هذا في باب المجتمع واستغربت جدا، وحزنت ليه يحصل ليك كده**

يقول:

- **انتي السبب لو كنت معايا ماكانش حصل لي كده**
- **انا ؟!**
- **ايوة انتي.**
- **صحيح ايه البنت دي اللي قعدتها في مكتبي؟**

رد ضاحكا:

- **كنت اغيظك بها يمكن تحسي يمكن تغيري، يمكن تعترضي تسألي ولكنك لم تتحركي، كم كنتِ عنيدة وكبريائك وثقتك بنفسكِ.**

أرد:

- **حبيب العمر وحشاشة قلبي تعذبت في بعادك تألمت لم تشعر، عانيت وقاسيت من حرماني منك انت حبيب عمري وفؤادي وسنوات عمري مرت بدونك لم تتركني ثانية، كنت معك مارست حياتك بدوني لكن ثانية كنت معك انا بدونك معذبة، عشت معك بروحي كل شئ كل شئ لن اتركك، ثانية بعد الآن !!**
- **ياه يا حبيبتي اخيرا اسمع هذا الكلام ! انت رائعة اوي ، ليه سبيتيني ياه نفسي احضنك.**

ويفاجئني:

- **عاوز اجي لك حالا دلوقت، مش قادر اصبر ارجوكي حاجي اخدك واجيبك هنا.**
- **لا يا حبيبي الساعة الثالثة فجرا والشتاء والمطر ثورة الطبيعية ، ولا مشاركة دي معانا في هذا الحب الملحمة...**

يقول:

- **من فضلك ممكن تقربي مني دلوقت ،عاوز احضنك من فضلك غمضي عيونك وتعالي حالا.**

اتنفس انفاسك تصلني ، انتقلت انت الآن بجواري اشعر بك تماما .. والله هنا بجواري لمساته علي يدي علي وجهي، علي جسدي احسست بقبلاته تلمس وجنتي انفاسه تتلاحق يداه علي جسدي كم عشقت يداه احببتها جدا، احب يديك يا حبيبي اعشقها اراهما في منامي دائما اشعر بلمساتها علَّي سحر كيف انتقلت لأكون بجواره قرب قلبه؟...لا أدر ...لم تعد

مسافات بيننا، اختزلت المسافات بيننا تركت جسدي هنا لأكون بجواره هناك كأنه حلم.

- تصوري حاسس بيك جدا ،وحاسس يكل حاجة فيك ياه ياحبيبتي انت جميلة اوي عيونك الرائعة كنت اعشقهم، وما زلت... اراك بجواري كاننا لم نفترق ثانية ليس هنا فراق بعد اليوم ليت الليل لا ينتهي، في هذه الليلة كل العمر كل العوض عن الحرمان ، سعدنا كما لم نسعد من قبل كم أحببتك دون أن تشعري بي، كم صبرت عليك كم ناديتك، كم قلت في نفسي ربما تشعر بي يوما ، ربما تعلم حبي ربما تشعرين، خشيت رعونة شبابك خشيت رفضك لي لفرق السن بيننا ، قلت لنفسي اتركها لشبابها هي تحتاج إلى شاب في مثل سنها، كنت كابنتي لم أكن أتخيل أني بداخلك...

قلت:

- مشاعري كانت ومازالت أكبر مما تتصور ،لم أر غيركَ لم أعرف سواكَ لم أحب أحدا غيرك تعذبت ليالي وسنين، بكيت دموعا دما كم نزف قلبي في بعادك وحرماني منك ، لم أستطع أن أكون لغيرك أبدا كنت محتلة بك منذ اللحظة الأولى، كنت انتظر منك المبادرة.. كم تمنيت أن تحتويني في صدرك ، أن تقتحمني أن تقول أن تفسر أن تعلن كان يكفيني كلمة واحدة منك كلمة واحدة، لأسرع إليك، أرتمي في حضنك وأكون جارية لك، اعشقني جارية لك، حريتي وعمري ونبضي في جوارك أحفظك أعرفك أشم أنفاسك فيَّ أراكَ ، أحفظ منك كل خلية كم عشقت

جسدك هذا، وكم قبلته بروحي.

يقول:

- **ياه احلي كلام سمعته في حياتي، مش عاوز حاجة ابدا تاني، انت وبس... مش هاسيبك تاني ابدا ، اياك تروحي مني تاني ولا ثانية ، كيف تركتك للأيام ولهذا الوحش يعذبك آسف لبعادي.. آسف لمرور العمر بدونك آسف لغبائي آسف علي كل شيء سامحيني يا حبيبة عمري سامحيني... بكرة وبلا تأخير لازم نتجوز مفيش وقت خلاص عاوزاك معايا دلوقت يا حبيبتي**

أرد:

- **يا ريت نتزوج دلوقت حالا.**

يقول:

- **والله هانزل حالا هادور علي مأذون، حالا اكيد حلاقي يا ريت يا حبيبتي مافيش وقت نضيعه ارجوك دلوقت نتزوج يا حبيبتي . بكره إن شاء الله مش حاسيبك ابدا ابدا...**

- **بكره يا حبيبي ان شاء الله مش هاسيبك ابدا، وساعوضكَ عن كل ثانية وسأبذل جهدي وأقول لكَ مالم أقله من قبل، واعطيكَ من ذاتي وحبي وقلبي وروحي مالم أعطه أحدا غيرك ، خذني يا حبيبي إليك لم أعط نفسي لسواكَ خذ حبي وقلبي ، خذ شبابي، المخبوء في صدري في خزانة عمري، هو لكَ أنتَ وحدكَ مخبوء في خزانتي لكَ احتفظت بذاتي كل ذاتي لك**

أقسمت دون كلام ودون.... أقسم ألا أكون لغيرك دونكَ الموت، الموت أهون عندي أن يلمسني أحد أو يخترقني مخلوق آخر ، كنت كالموتي بدونك بلا إحساس، جسدي ورغباته واحتياجاته هو لكَ وحدكَ لا لغيرك بدونك أنا ميتة بلا حراك، منذ عهود ليتني فهمت وما تغابيت ليتني حطمت كبريائي، ليتني حاربت من أجلك وليتني اقتحمتك ليتك اختطفتني من كل الدنيا أشتاق إليك احبك هل تسمعني ؟؟

- نعم حبيبتي سامع أحلى كلام من أحلي بنت عرفتها في حياتي، أنت حياتي ليتك فهمتي ليتك عرفتي ما أحببت غيرك، كلهم من حولي لم أراهن لم أر سواك عيونك
- طاردتني العمر كله ، لم أر غيرك كم استيقظت فزعاً لرؤياك في منامي تبكين، تجري امامي تبكين وتصرخي .. جمال.. جمال.. أنت فين ؟ تعال ألحقني، والله أبك لتذكر رؤياك في الحيرة والألم والقلق والضياع، وكم سألت ولا مجيب كنت أشتاق إليك لدرجة الجنون، كان هناك ما يمنعني خوفا عليك خاصة بعد زواجك ، لم أشأ أن أنغص عليك حياتك تعرفينني أكره الظلم جدا.. كم تألمت يا حبيبتي وزاد ألمي ألم البعاد والحرمان، وعدم استطاعتي التواصل مع إحداهن ، لم يفهمني غيرك لم يقربني غيرك، تخيلتكِ في كل امرأة عرفتها وكل حب متخيل ، وكل محاولةَ زواج فاشل لم تكن أنتِ لم يكن القرب منهن مثل قربي منكِ، كنتِ خيالا استمد منك الطاقة وحلما تعذر علي، وقيود كبلتُ بها نفسي حتي لا أسبب لك مشاكل، زاد ألمي الآن وازداد غيظي لمَ لمْ ابحث عنكِ ؟ لم لم أخلصكِ

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

من عذاباتكِ؟ لم لم أخطفكِ وأتيت بك إلي هنا في حضني وصدري؟ فِي بيتي آه كم هو عذاب أن يضيع العمر، كل العمر والحبيب علي بعد الخطوات مني ليتني وفرت سنوات العمر والشباب، ضاع مني ومنك الكثير الكثير سامحنا الله علي الجهل والكبرياء الزائفة الحب والأمل والدنيا لا تؤخذ إلا عنوة وبالقوة ،ليتني ما ضعفت وما جبنت وما خشيت، أنا المسئول يا حبيبتي أنا المسئول عن عذابك وحرمانك وعذابي وحرماني ، سامحيني يا حبيبة قلبي ،سأعبر لي عن حبي بكل الطرق المتاحة تعبيرا كاملا، عن حبي وشوقي وعشقي وهيامي بكي منذ رأيتك أول مرة، شابة صغيرة نضرة حمراء الوجنتين دائمة بعيونها العسلية الواسعة الساحرة التي أسرتني

- منذ أول نظرة ، لم أر في حياتي عيونا كعيونك ساحرة عميقة كمحيط من عسل مصفى، عارفة أكتر حاجة فيكي تعلقت بها فيك ايه ؟
- إيه ؟
- خجلك طفولتك ضعفك، كنت أتعمد أن أبكيك اري دموعا يا لضعفك الرائع اسرني كبلني تلك التلقائية والطهارة كنت طفلة، بريئة جدا كنت أجن عندما اصطدم بتلك البراءة ،عشقتك لبراءتك وحزمك وكبرياءك وقوتك في نفس الوقت ، ومبادئ أنت مصرة عليها، لا انسي هذه الصفعة المدوية علي وجه فكري ،فاكرة؟

وضحك عاليا:

- عجبتك ؟
- طبعا عجبتيني جدا وفرحت جدا لما شفتك ، وبسرعة

وفجأة ودون تفكير اعطيتيه هذا القلم علي وجهه من إيدك الصغيرة، عارفة جه مكتبي وبكي، أنا أنذرته ألا يحاول الاقتراب منك أبدا، ونقلته خارج الإدارة.

- **عارف تصورت إنك زعلت مني.**

يضحك:

- **عارفة لازم ابدو غضبان ، علشان مافيش حد يفهم حاجة غلط ، لكنك بصراحة اعجبتيني جدا.**

تهدج صوته أحسست بعد صمت منه يغالب دموعه لم يكمل الكلام توقف سعل شديدا:

- **ثانية واحدة يا حبيبتي ما تقفليش التليفون أنا راجع.**

ظل خط التليفون بيني وبينه طوال الليل، إلا من بعض دقائق لقضاء حاجة ،أو عمل فنجان قهوة أو ليهدأ من كل هذه الانفعالات التي اختزلت سنوات العمر، كل العمر الذي ضاع في أطول مكالمة تليفونية.. وصلت الساعة الرابعة صباحا آتي ومعه سيجارة وفنجان قهوة ،صرخت:

- **سجاير، سجاير كفاية يا حبيبي قهوة وسجاير، طول الليل وطول العمر ارجوك كفاية..**

قال:

- **تعالي في حضني وأنا أبطل السجاير.**

سمعت صوتا بجانبه ذعرت:

- مين معاك؟

يضحك؛

- عم عبده السفرجي رجل عجوز، يخدمني يؤدي لي حاجاتي البيت الطعام الغسيل، كان معنا في دمنهور منذ طفولتي، أبي الطبيب يعرفه رباه في بيت العائلة منذ كان طفلا، ماليهوش حد غيرنا، روح عم عبده نام... أنا بردان أووووي تعالي في حضني.

ارتعشت تعلثمت ارتبكت فاجئني إحساس بالرغبة العارمة فيه:

- أريد أن ألمس كل حاجة فيكي.
- عارف أنا عاوزة إيه دلوقت؟ آجي في حضنك كلامك فجر بركاني.

ياه أخيرا أعترفتي وقلتي.

- قلت أنت السبب أشعلت بركاني بكلامك ،عاوزاك حاالا دلوقت ...
- كفاية أرجوكي يا حبيبتي مش قادر استحمل كلامك ده، حركت في أشياء كنت تصورت إنها قد ماتت ولن تعود، هيجت كل رغباتي كل شئ كل شئ عاوزك حالا دلوقت.

وينهمر المطر خارجا البيت شديدا جدا، ينظر إلي يعلم عشقي للمطر، عم عبده آتي:

- عم عبده ممكن تعمل لنا عشا خفيف؟
- حاضر يا بيه.

قلت انا:

- **لاالالا مش ممكن اتأخرت جدا.**

قال:

- **لاالا أنا فلاح لازم نتعشى سوا، نفسي آكل معاكي.**

وأحضر عم عبده ساندوتشات وكوب لبن واحد ، وقهوة له هو ولأول مرة أقول:

- **عم عبده من فضلك شيل القهوة هات لبن له هو كمان.**

ابتسم عم عبده وقال:

- **ربنا يخليكي يا بنتي تعالي كل يوم .**

قام من مكانه ليعطيني كوب اللبن وسانتدوتش:

- **كلي عاوزك مربربة.**

وضحك عاليا، أحببت بيته جدا، وأحببت جدرانه، رحبت بي البيت كله.. كان مرحا مبتسما سعيدا ،حتي عم عبده كان سعيدا مبتسما سعيدا بنا يرحب بأشياء لم أعلمها يالعذوبة مجلسه ،وحلاوة عشرته وحنانه وهدوئه، ولم كل هذه الثورات المفتعلة في العمل، ولم كل هذه الإشاعات عنه، كان دافئا أنيقا يعشق الهدوء يالظلم الناس له .. وقام ليرتدي بالطو شتوي وكوفية خضراء ، كان جميلا ورائعا، وقال

- يالا بينا أروحك للبيت...

رددت بسرعة:

- هاخد تاكسي.

نظر نظرة ارعبتني:

- دلوقت تاكسي لوحدك وفي هذ الجو ؟ لالالا طبعا مش ممكن لوحدك لا يمكن أبدا.

ووقف عم عبده علي الباب يصافحني ويقول:

- ياريتك تيجي علي طول هنا خليكي معانا ، نورتي البيت آنستينا....

ولم أدر بمرور 3 ساعات لم نتكلم فيها كثيرا فقط تقارب بيننا، وسعادة خفية وارتياح شديد، ركبت بجواره في سيارته الخاصة الصغيرة، كان المطر شديدا جدا وأنا سعيدة جدا بمشاركة الطبيعة لنا، في طريقنا إلى السيارة احتواني تحت البالطو ، كطفلة لمست صدره تنسمت عبيره، وقد ملأني وأشعل براكيبني، رائحته رائعة ألهبت عواطفي ورددت لو ذبت في صدره ،وحواراته مازالت في جسدي حتي الآن، استمد منه حياتي إلى هذا اليوم، منحني الحياة في تلك الضمة الصغيرة إلى صدره، وعند باب بيتي في منطقة بولكلي ودعني قائلا:

- تصبحي علي خير يا حبيبتي.

وقبل يدي:

- أشوفك الصبح ان شاء الله.

ولو أن بي قوة يا حبيبي

لنزعت في عيونك حتي لا ترى غيري

وفي قلبك حتي لا تحب غيري

وفي أذنيك حتي لا تسمع غيري

وفي رؤاك واحلامك

لو أن بي قوة لاحتللت كل مساماتك

جسدك وأنفاسك

حتي تتنفسني مع أنفاسك

ولو أن بي قوة لاستغرقتك حتي لا يبقي شيء منك

ولأريتك كل جمال الكون

ولأسقيتك شهد الأكوان

ولكنت معك كل نساء الكون كل ليلة امرأة مختلفة

لو أن بي قوة.

استقبلتني أمي غاضبة، تخفيه خوفا من ثورة إخوتي علي، أسرعت إلى غرفتي حتي لا تسألني أمي، آويت إلى فراشي، وتسألني:

-

- تاكلي حاجة قبل ما تنامي ؟

تقلبت كثيرا في فراشي ولم أنم ثانية واحدة

قلت لها:

- لالالا ماما شبعانة.

أعرف أنها قلقة، لكنها لاتسأل خوفا من ثورة، لم تتعود مني الغياب كل هذا الوقت ،وخروجي وحدي اثار فضولها وقلقها ، والذكرى بكل ما فيها كل ثانية كل حرف ، كل كلمة كل ابتسامة المطر والليل ورائحة الزنبق، ووجهه الجميل وعيونه السود ، وشلال شعره الأسود ، حنانه وشوقي وبراكيني وأعاصيري

حُفرت الذكري في أعماقي العمر كله ، أراها أسمعها

أجترها أعيشها لحظة بلحظة ولا أري غيرها في عيوني وكياني، خوفا وسعادة وتحديد للأيام القادمة وللمستقبل أصبح هو دنياي لا أرى غيره ، كان عظيما صادقا حقيقيا، وتتوالى لحظات العشق بيننا مرات ومرات نعوض ما فاتنا من ظمئ وحرمان سنوات الغربة الطوال، وتتوالى كلمات العشق والشبق والنشوة، ويطول ليل تلك الليلة، كانت ليلة ماطرة عاصفة باردة جدا من شهر فبراير، عاصفة وإعصار وحب وعشق، كان مخبوء

سنين العمر، يظهر فجأة في ليلة سرمدية أسطورية، ليلة عشق لامثيل لها كأنها العمر كله وكأنها تاريخ العشق تعلم العشاق كيف يكون العشق، عشقي هذا المحفور في شراييني وأوردتي وخلاياي، عشت معه وفيه الحب خيالا وتخيلا وبحثت طويلا عنه في عيون الرجال ولم أجده، جبت الدروب وراءه عليّ أصادفه

يوما وألقاه، كم طال بحثي ومعاناتي، كم تعذبت في الغياب، كم تقطعت شوقا إليه وإلى مرآه، كم كنت قاسيا بالغياب والرحيل، فقد كنت أنت محرابي ومجدافي وأشرعتي، فيك صلاتي وأدعيتي

أنت تاريخي، ووطني أين أنت؟ تصحرت روحي وجف دمي.

ويسألني بغتة:

- **تتجوزيني.**

قلت:

- **أهبك نفسي.**

وقال:

- **مهرك ؟**

قلت:

- **مهري أنت ولا اريد سواك، علمني أن أكون؟ كيف أكون كما هو يريد أن أكون**

وقال لي:

- **اوعديني أن تكوني...**

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

رددت:

- **اوعدك حبيبي كما أردت لي أن أكون.**

ويفيض فيضان الحب والعشق والمطر والرعد والعاصفة تشاركنا عاصفات عشقنا، كانت ليلة غامضة ساحرة فيها إشارات وإشارات.

قلت له:

- **عاوزة أنام خلاص.**

ضحك وقال:

- **طيب تعالى في حضني ونامي، الساعة السادسة بعد الظهر النهاردة // كانت الساعة السابعة صباحا // أي بقينا بكره.**

ويضحك تلك الضحكة التي ملأت أرجائي:

- **اشتري حبيبتي فستان أبيض، وبكره إن شاء الله نكمل المشوار، نروح بكره بيت العجمي، نكمل الحكاية**

والرواية.

اصغيت إليه طويلا وهو يتكلم كأني أريد أن أحفظ نبرات صوته وضحكاته، وأحفرها في ذاتي لم توقفت لم شعرت بهذا الشعور الغامض؟

شعورا غامضا مؤلما أوجع قلبي في تلك اللحظات، توقفت عن الكلام فقط أصغي إليه، ولفت نظره صمتي سألني:

- مالك ساكتة ليه؟

قلت:

- حبيبي اسمعك.

ولم أفهم ولم أعرف لم كان هذا الشعور الغامض بالحزن والانقباض، رغم ليلتنا الرائعة الساحرة ولكنه شعور لم اتبينه إلا بعد ذلك، حين حدث ما حدث، في ظهر هذا اليوم المروع ..طالت كتابتي لهذه الرواية، كنت سوف في كتابة الجزء الأخير منها، يمس منطقة مؤلمة

في ذاكرتي، خشيت طويلا، الاقتراب منها حد الوجل الكتابة عن، تلك الاحداث المؤلمة المحفورة في الذاكرة والقلب ووجداني سنين العمر الطويل، ماطلت طويلا في كتابة هذا الجزء لأنه هو ألم الرواية كلها وقامت عليه كل الذكريات تلك النهاية العجيبة الغادرة لقصة عشقي

كان جمال هو كل حياتي وروحي ومازال في قلبي يشاطرني العمر الذي أوشك على النهاية،

قد نقابل اناس آخرين نتصور أنهم البديل، لكن عندما يحتدم الأمر نصرخ من القلب:

- لا أنت لست جمال.. جمال!

هو الأسطورة في عمري كله، لم أر من هو أجمل منه خلقة وخُلقا، كان صادقا يعشق الحق رجلا بمعني الكلمة، خجولا لا يتكلم إلا بما هو جميل، كان جميلا فعلا اسم على مسمى، لم يتصرف تصرف واحد كبيرا أو صغيرا يجرح او يخدش الحياء، لم

ينظر لي نظرة خادشة إنما كانت نظراته حبا وعشقا دفينا لا يبوح به أبدا بكتمه في صدره طويلا، ليته تكلم ربما كان تغير التاريخ، تاريخه وتاريخ حياتي، دمث الخلق كان رغم العصبية الشديدة لم أسمعه مرة يلفظ لفظا خارجا فهو ابن المؤسسة العسكرية دماثة الخلق وحب الحق والوطن، عاشقا للعمل، مجدا ناجحا، وعمله أثار حقد الحاقدين حين ترك الخدمة واتجه إلى العمل الإداري في الدولة ، وتقلد مناصبه العديدة، من مدير تفتيش مالي وإداري أبهر المحافظين لجديته واهتمامه بالمدينة كانت فعلا عروس البحر حينذاك ورئيس حي، إلى رئيس حي آخر، أنا الآن استدعي ذاكرة تلك الليلة العجيبة، كان اتصالا تليفونيا طويلا طويلا...

استغرقت المكالمة بيننا أربع وعشرين ساعة عجيب أليس كذلك؟

كانت ليلة ماطرة جدا كتلك الليالي الماطرة في شهر يناير، سنوات ابتعدنا شغلتنا الدنيا، كل في طريقها الأيام والمسافات، باعدت بيننا الأيام، فجأة يطل بوجهه في الذاكرة تلح الذكرى أراه أراه الآن ولم أدر لم ألح عليّ هذا الخاطر العجيب ولم الآن لم الآن؟ ماذا تخبئ الأقدار؟

أدرت رقم تليفونه ويرد علي:

- **ألوَ!**
- **آلو.**
- **ازي حضرتك وحشتني جدا جدا.**
- **وأنتِ كمان.**
- **عرفت أنا مين؟**
- **طبعا عرفت.**
- **ياه بجد لم تنسني طوال هذه السنين؟**

- ولا لحظة واحدة.
- لم أنسك لحظة واحدة في حياتي.

وتكلمنا وحكينا عن كل شيء، كيف أحبني أنا الفتاة الصغيرة وأسأله:

- فاكر ايه عني؟

يضحك طويلا ويقول بصراحة عيونك الخضراء الواسعة وسيقانك:

- سيقاني!
- ايوه سيقانك، فاكره لما كنتي تلبسي الميني جيب، كيف كان يحمر وجهي غيرة وغيظا؟ فاكره لما قفلت واجهة مكتبك؟ لما لقيت الولاد الشباب في الإدارة بيبصوا على سيقانك اتجننت وانت ولا انت هنا، كنت جميلة خجولة كنت أخشى عليك من نسمة الهوا وأحرسك من بعيد، كان يعجبني حمرة الخجل حين تنظرين اليَّ، مرة قلت لك ممكن تناوليني علبة السجائر من جيب الجاكيت؟ كانت معلقة بالمكتب.
- أنا فاكره طبعا أني خفت أوي أقرب من الجاكيت، كان عطر الأولد سبايس يجنني..

شياكته كانت رائعة شعره الأسود عيونه السوداء الواسعة.

- كل ما فيك جميل يا جميل!

تذكرنا في تلك الليلة الطويلة وقد اختزل العمر فيها، كل العمر وكل العشق المخبوء وكل الذكريات بطول وعرض السنوات الطوال، قال كل شيء وقلت كل شيء، واعترف بحبه

وقلت له كل شيء، حكيت له كل ما حدث طوال سنين البعاد، كان

المطر شديد جدا سيول سيول وعواصف، قال فجأة:

- **عاوز أشوفك دلوقت حالا.**

ضحكت، قال:

- **بجد، أنا هالبس بالطو تقيل واجي بالعربية آخدك نكمل كلامنا هنا**

ضحكت، قال:

- **يا جبانة خايفة مني؟**
- **لا والله، أنا خايفة عليك من البرد الساعة 4 الفجر دلوقت، خليها بكرة ممكن**
- **لا دلوقت مشتاق ليكي أوي.**
- **عشان خاطري خلينا بكره.**
- **ما فيش فايدة فيكي طول عمرك عنيدة لكن بحبك أوي، بحبك جدا حبيبتي لم أحب سواك ولم أتزوج غيرك.**

وتذكرت ما قالوه لي ليبعدونني عنه:

- **وصدقت الكلام؟**
- **لا ما صدقت عمري ما شكيت فيك ولا صدقت أي شيء من كلامهم، كم أحبك جمال!**

- أنت حياتي وحب عمري أحببت براءتك كياسمينة عذراء.
- كم أحببت عطرك عطر جلدك حين كنت تمرين بجانبي.
- كم أحببت هذا الخجل وحمرته على خدودك.
- كم كنت أغار من س وص وكنت أكتمها في صدري.
- كم بحثت عن أخبارك؟
- كم تمنيت لو أحضنك لثانية واحدة في عمري!

وأبكي انا ولا أنطق، ويسألني:

- أنت بتبكي؟ يا حبيبتي أرجوك ما تبكي ما أحتمل دموعك أرجوك كفاية.

ويهطل مطر شديد كان السماء تبكي معي أو تنعينا، ونصل الى السادسة صباحا، ويقول:

- بكره عاوزك عروسه فاهمة؟ تايير أبيض او أحمر ، واعدي عليك الساعة 6 بعد الظهر بالعربية ونروح لأقرب مأذون.

واضحك ويضحك:

- كفاية حرمان باه يالا نعوض السنين اللي فاتت تصبحي علي خير حبيبتي، أرجوك خلي بالك على نفسك.
- حاضر حبيبي.
- باي حبيبتي.

واهاجت الذكريات مضجعي ولم أنم، ذهبت إلى عملي مجهدة جدا، وفي العودة اشتريت فستاني الأزرق، مازال مكانه لم أرتديه، وأفتح باب البيت لأسمع رنة تليفون أرد بسرعة:

- الو.

حتى لم أغلق باب الشقة، وأسمع صوته ضعيفا حدا:

- مالك؟
- تعبت، جاني مغص كلوي ،استدعيت اخويا الدكتور اخدت مسكن هانام ،ولما اصحي من النوم أكلمك.

قلبي انقبض قبضة رهيبة، جلست في مكاني لا أتحرك وكل الأشياء أمامي مبعثرة، وظللت في مكاني على نفس الفوتيه لا أتحرك، ومرت الساعة السادسة والسابعة، أكلني القلق:

- الو..
- مين حضرتك؟
- جمال، أنا هبة.
- مين حضرتك؟
- أنا هبة مالك فيه إيه؟

ويرد الصوت:

- جمال تعيشي انت..

كان أخوه الطبيب نفس الصوت، صرخت:

- لا...
- مين حضرتك أرجوك ردي؟

وأحطم الأشياء حولي وأصرخ أصرخ، كف بصري توقف سمعي، هذيان وذهول، أهذي، أصمت، أجري على الشارع وأعود كالمجنونة، هنا أتوقف قليلا، كي الملم أفكاري والذكريات وأكفكف

دموعي وأعود، في يوم ماطر شديد العصف غرقت مدينتي في سيول من ماء، أهي الدموع والبكاء؟ هل بكت السماء على فقد؟ أو نذير من رحيل؟

تجتاحني عاصفة من حنين إليه، تثور خبيئة ذكرياتي أرى وجهه يطل بعيونه السوداء، وهالة من نور وشعيرات بيض كما الفضة، تثور الذكرى في كياني ممتلئة بأنين روحي، ووجهه يناديني..

لم أكن أقوى على كتابة نهاية روايتي خبيئة الذكريات، الآن أبكي بعد سنوات من الحزن، واخرجت الرواية من خبيئتي لأكتب النهاية لعشق ذوبني العمر، لم أر سواه في عالمي، ومر العمر في التذكر، ولم يبق لي الا خبيئة الذكريات أجترها، وأكتب منها أشعاري، مداد إلهامي..

وحب وعشق مازال حارقا كحجر ألقى في بحيرة، مازالت دواماته ترسل الاشارات والرموز وما زلت أسافر إليه وأرتحل أخاطبه ويخاطبني ، وذا المكان الذي ضمنا ذات مساء في يوم ماطر اغتسلت فيه مدينتي الساحلية أو بكت علينا، واخذني تحت معطفه الشتوي الأسود كطائر يرتعش وضمني الى صدره ونحن نجتاز الشارع إلى تريانون، ومائدتنا وذا النادل اليوناني ينظر إلينا بفرح، ورحنا نراقب المطر السيل كان يعشق المطر مثلي ونراقب العشاق المهرولين تحت المطر من نافذه هذا الصالون، وقد اغتسلت الشوارع كما فضة والبحر يعانق الشاطئ والمطر في ملحمة أكانت ارهاصات الرحيل أم البكاء علينا ،ونظر إلي في عمق وألم وسألني:

- أتحبيني؟

ولم أجب، ولم أقلها له حتى الآن، فقط أكتبها رسائل حب وعشق وقصائد غامرة مغدقة كلها له وعنه، ويتصورون أني أكتبها لعاشق بيننا، ويتساءلون لمن تكتبي، وهو هناك وأنا هنا، انتظر اللقاء، ومازالت خبيئتي عامرة بالأحداث، والنوات في الشتاء في مدينتي الساحلية لها السحر، كأنني أُخلق من جديد تعمني النشوة حين يهمي المطر، وقعقة الرعد وارتعاد البرق، ويتفتق جسدي

عذراء، وأهرول إلى سطح البيت لأغرق بالمطر وجدتي تنادي:

- يا بنت ستموتين من البرد.

وأنا لا أرد، وأخرج من الجامعة بمنطقة سوتر وأركض للبحر حتى يغرقني المطر ،والبحر في آن ويلهبا مشاعري كأني عاشقة متيمة يمثل المطر لي الحياة ،والتفتق والولادة أولد من المطر كما ولدت من موجة هوجاء عارمة، وابتلعني البحر في جوفه ثم ألقاني على الشط ليغرقني المطر، عاشقة للماء انا أنا ابنة الماء حلوه وملحه، ويلتصق الماء بجسدي ويفسر مفاتني، وحول المدفأة الفحم جدتي تشوي أبو فروة والبيض ونلتف حولها ، أما قهوة جدتي فلها حنينها، كما أحن إلى رائحة البن والمطحنة القديمة وسيجارة كوتاريللي صغيرة تدخنها جدتي ،وقالت لي:

- أشعلي لي السيجارة.

واشعلتها ومازالت في أنفي، وأدركت بعد رحيلها أنني أشبهها كثيرا، ومازالت رائحة فنجان القهوة وحنيني لها وعدم قدرتي

احتسائها بعد جدتي، أتدرك يا حبيبي أنني لم أعش حياتي بعد

وأرتقب أن أحياها هناك معك، مازالت عيونك السود وشلال شعرك الأسود حول جبينك الأزهر، وصوتك وقهقهاتك والجدران، تهتز ووسادتي وعطرك فيها، ويقتلني إليك الشوق وأتغنى بك طويلا وأكتب أكتب لك وفيك كل قصائدي، وموسيقى البيانو ل ياااني كم ترجفني وأتذكرك ويتلقفها قلبي ويطيرني البيانو إليك إلى هناك يأخذني ،قالت أمي يا بنتي (...) يحبك وأطمأن إليه تزوجيه الله يرضى عنك ريحي قلبي، وأنا لم أرتح لأحد إلاك، وأدركت أني بدونك لست من الأحياء، حاولت ان اكون لغيرك ،

فشلت أن أكون لغيرك، ولن أحكي عن قصتي الفاشلة وعذابي بدونك، وتهت أبحث عنك في كل الوجوه حولي لم أجدك، بل نسخا لم تكن أنت وليس منهم من يشبهك، وباعدتنا الأيام لكني ظللت أدور في فلكك والعجيب أنني لم أحاول البحث عنك؟ أهي أقداري؟

وفجأة أجدك تمر بجانبي أنا في سيارة، وأنت تسير وشعيرات بيض توجت جبينك، لم تراني لكن عطرك وصلني.

تمر الأيام والعمر يا حبيبي وأنت شاخصا في وجداني، لا أرى سواك في خيالي تلهمني القصائد أكتب ، وتنهمر كتاباتي بغزارة حبي لك وعشقي المعتق كخمري، وتتفجر انوثتي ولا أعطيها ولا أصرح بها في أحلامي كنت أنت ..

وكثر عشاقي ويتساءلون لمن كل هذه الكتابات وأنظر في الوجوه ،أراها باهتة لم يكن فيهم أنت

ويقول لي طبيبي الجراح وأنا في بدء التخدير:

- لا تحزني أبدا لا تحزني.

عملية جراحية خطيرة، وتذكرتك وأنا أتمسك بيدي على أيقونة كنت اهديتها لي، واستفيق وأرى وجهك كأني استنجد بك من ألمي، كيف لهذا الحب ظل حيا في وجداني؟

وتقول لي العرافة الغجرية نادتها جدتي تقول:

- **صغيرتي موشوم على قلبك فتى فارس، إنه قدرك المحتوم منذ عجنت بطينة النيل الحمراء مكتوبكِ، موعودك مخبوء في المعابد الفرعونية على ورق البردي، وسر التحنيط، إنه سرك الأعظم...**

وأذهب إليه هناك ابن الفارض العاشق وأقرأ ديوانه وأهتز وارتج، والرومي يصاحبني والنفري، رابعة تنشد العشق، سافرت حول المجرات وكوكبي الوردي يصاحبني وعطارد

وياسمينتي تضوع مخدعي وفراشي بعطرها يتسلل ليلا، واضع يدي تحت وسادتي أبحث عن يدك.. كنت قوتي ومعتصمي كما اول مرة قلت لي كوني قوية طفلتي كوني فارسة وسيدة الرجال وقومك لا تضعفي بالروح أنا معك واتقوى بك ...

وتعود عشتاري في كل مرة من ترابها وأحيا وتتكرر أعماري وحيواتي، وابحث في الوجود واللاموجود وماوراء الورائيات وحبك دليلي...

جمال...

أنت الحياة والنبض وأنت الموت وأنا فيك أموت حبا

هل تسمع ندائي

خذ بيدي

خذني إليك..

يقول لي دكتور أدهم:

- من انت وماذا وراء عيونك الخضر؟

وتفر الأيام ومازال حبك متوهجا حارقا حارا

أنثاي المتفجرة منك أنت هي لك أنت

كل المخزون في كياني لك أنت جمال..

سعاد ابنة خالي تمر بقصة حب وأنا أضحك، تقول:

- لا تضحكي يوما ستكونين مثلي..

أحضن الحلم ..

أحتويه ..وفي تلابيب صدري

به للحياة أكتفى.

ودربي..

لطالما بكيت ضياعه،

لكثير ما أرتجيه..

فأعود مضطرة ..لبراءتي..

لطفولتي!!

للقديم من خبيئتي!

وبيتي..

أنت من حل ضفيرتي..

وفارسي،

يمتطي صهوة مهرتي الجموح!!..

وشاطئ بحري..

ممن همت به

وهام بي..

كنا قصة غرام..

لطفلين،

كقبلة عذراء باقية في خلدي!

وملمس خدي،

ويده الصغيرة

مثل شوكلاتة

وضعها في غرة فمي..

استمسكك كحلم!

لأحتويه عميقا..

في أركان ذاتي..

أستعيده..

أجتره..

مثل شمعة تضيئ..

أركاني، معتصمي..

متكئ حلم يحييني مددا!!..

يبقيني قيد الحياة...

وأكثر يروي ظمأي...

أعود إليه كل ليلة!

أنام في محتواه...

ويعودني برؤيليل..

ويعيدني عذراء..

روحي وأشجاني!!

طرح النيل والبحر

شبابيك بيتي القديم

البعيد

(من إصدارات مؤسسة الحسيني الثقافية)

أزمنة تحكي وتروي

نداءات في الليل

زقزقة عصافير الفجر

مذياع خشبي عتيق

حواري تضم العابرين

الظل للبيوت ندي

الشمس خجلى

القمر بدر صاف

النجوم حرة براقة العيون

واللمة حول وجبة ساخنة

نداوة العصر

ومطر غامر

ورعد ملائك ترتب اروقة السماء

وشجرة في البدء كانت برعما

تظلل البيوت

عند الغروب

تُغلق الأبواب القديمة

دفئ وأمان

أغمض عيوني

للذكرى تتوافد على روحي

تراتيل جوف الليل

ودعاء

ووجوه بيض من نور

وهذي النضرة تمر

تضج بالحياة

ضفيرتها العظيمة

تُلهب أفئدة العشاق

روحها في السماء تنادي

طيفا تراه في العيون

يحادثها في احلامها

يروي لها الحكايات

تحتويه بين الاهداب

تصحو على صوت الصباح

فيه منه

غامض

حولها يناجيها

تكاد تلمس النسمات

عيون سود وسع الأفق

شلال أسود

يغازل جبينه الأزهر

مجهول لا يفصح

ويغمر موج البحر

أصابع قدميها الصغيرة

تتذكر يافعا كان هنا

يرسل لها القبلات

عبر أثير نسيم البحر

تتمحور حوله

تذوب تتلاشى

تناديه

في الوجوه المارة

في كل درب

أكنت أنا ؟

أم أخرى ؟

من أنا ؟

..وما بين رحيل جدتي ورحيل جمال درب طويل فاض، بي فيه ما فاض من تخيل لقصص الحب، ونسخ من وجوه ليس هو فيها وبحث عنه وأحلام ورؤى واجترار الذكريات، واتمسك بملامحه خشية زوالها من أفقي أناجيه أناديه غيبا، أتوسل القدر عودة ورؤية، وأرى بعين روحي قامته الفارعة حجبت عني الشمس يوما، وكانت الراء تتدحرج على لساني ، قال لي الشيخ:

- الراء يا بنيتي..

يبدو انها لثغة في لساني، واكتشف جمال هذا فكان يسألني لأجيب ويسمع مني الراء يضحك ويقول:

- ما أروعك.

عم رجب الرجل العجوز كان يستيقظ فجرا ليقوم بكنس الحارة، ورش الماء لجلب الرزق ،

شكلت الحارة في وجداني الكثير الكثير، افرزها في قصائدي دون أن أدري، لم كان يتعمد أن يبكيني؟ ربما كان يستمتع برؤية دموعي، أدركت أنني بدونه لا شيء، بحثت عن وجهه في كل الوجوه حولي، قصص وروايات وفي كل تجربة مررت بها كنت أخرى هل كنت أنا أم أنا الأخيرة، ويصدمني الطبيب حين قال لي عن أمي إنه هو اللعين، مرت سنة كاملة أمي تعاني وأنا بجوارها

وأخي إبراهيم يساعدني في القيام بأعباء رعايتها، حتى اشتد الألم وهُرعت إلى السماء أصرخ يا رب ارحمها يا الله..

دخلت إلى غرفتها رأيتها تجود بالروح بين يدي، وأصبح الموت هو مناط محور كتاباتي أنظر للسماء أسئلتي بلا إجابة وأُبحر وراء الغامض من الغيب ،ما هو الموت ؟ أين تذهب الروح ؟

صوت الرعد يطربني يزلزل كياني ويشجيني، أما المطر فهو معشوقي أغرق فيه والبحر ديدني وموجه يغازلني، على شط مدينتي الساحلية حيث يعانق الموج المطر أتذكر جمال بقامته الفارعة ولا أدري ما وجه الارتباط بين المطر والرعد والبحر وجمال...

جمال هو محور الحياة وهو ملهمي رغم الغياب، أسافر إليه ويأتيني بالروح ويخاطبني ويملأ كياني ووجداني يقول لي جميلتي وطفلتي أنت كوني كما أردتُ أن تكوني!!

وأسأله هل كنت يا حبيبي كما كنت تتمنى لي؟

وفرسي الجموح يُهرع إلى هناك حيث النهر الأخضر مستبدة أنا ومتمردة، كان هو اللجام لي والرباط، ولم يكن لي يوما رباطا غيره كان يعرف كيف يحتويني ويلجمني ويروضني

وأنا العنود الرافضة للترويض، وما زلت أنا الأنثى القابعة في أغوار نفسي وروحي تلك الأنثى التي لم أعطها لأحد، تشاغلني أنثاي إليه تهفو وبراكيني المخبوءة له هو وحده

أتململ ليلا في نومي أناديه.... جمال... ألا تأتي

أي عذاب هذا وأي ضنى

نعم ناديتك

_____

سمعت ندائي....

تعلم حبي ..

والغياب

لم يوقفني...

وأنت ؟!!

بيننا سر خفاء!!

أرق من نسيم..

الصبا ..

روحك تعانقني ..

أتلمس شهيقك...

وأكتفي...

قلت سأغيب!!

وأنت في حشاي...

لم تغب..

أنا فيك!!

دما في الوريد..

يسري...

أراك بكلي ...

وأشتهي ..

أنت في جسدي..

بك اتحادي ..

وري ظمأي...

أنت أقرب مني..

لروحي !!

وشجرة حياتي..

وعمري القديم...

وألف ألف عام وعام...

أنا منك...

وأنت مني..

أين هو الغياب؟

لك أنت أكتب...

منك المدد ...

وإلهامي...

من عليائك !!...

عينيك..

ترقبني

وابتسامة ثغرك!!..

وشعيراتٍ بيض ...

في فوديك...

تُلهبني...

كم عشقت شلالك!!...

أدهمي...

على قارب ومجداف ...

تُغدق سحرا!!....

بليلي ....

عامرٌ بك وأركاني....

وسادة الروح بك....

مؤنستي!! ....

حروفا تتساقط...

على ورقي...

والقلم مفعم ومتخم!! ...

بالمعاني ...

وجميل لحظك...

ودخان سيجارك..

يملؤني...

ياحبيب العمر!!....

رفيقي...

محتواي محيطي...

بحري....

ياعشقا مخلوقاٍ!!...

في ذاتي...

مذ نطفتي...

تفتقت منك أنت!!...

عذراءُ....

لك وحدك كلماتي...

وحروفي!!....

تهمي....

حبيبي...

ابق هنا

لا تغادرني...

يا محراب صلاتي!!...

وكعبة...

اتجاهاتي...

من طهر عيونك...

وضوئي...

وبين يديك!!...

أصلي....

صلاة العشق..

الأبدي....

ويظل الموت والروح والرحيل والغياب والغموض والغيب والمطر والرعد والبرق وأنت مناط الحياة ودربي والنبض والخيال وكتاباتي وشعري

حبيبي أنا لم أنكسر ما زلت أنا العذراء لك وحدك أهديتها

اطمئن جمال أنا لك كلي لك !!

والروح تستدعيني أسافر أرتحل إلى هناك حيث أنت والحب والنهر الأخضر

أتمسك بك أيقونتي

ليتك تخترق الحجب وتقلب نواميس الكون وتخترقه وتأتي

ليتك تحطم الكون فوق رأسي وتأتي

إنه التوحد

توحد الروح بالروح أأنت هنا أم هناك؟

أمت حقا ؟

أما أنا من ماتت؟

أتوحد بك وبذاتي خليل بخليله متيم مغرم

لم يكن هناك غياب بل حضور أشد ما يكون الحضور

ويبقى رماد سيجارك وفنجان قهوتك الفارغ وصوتك يرن

والجدران تئن شوقا ووسادة خالية منك وصدر فارغ من شهيقك وعيون لم تعرف النوم بعدُ وآهات تتردد تمزعني والذكرى والشعر حولك يدور ...

وتبقى أنت يا حبيبي....

وتمر الأيام والليالي والخطوات في دربي والأحداث وفي كل حدث أنا أخرى وأتلمسك وعقلك وأسأل رأيك وعقلك أكنت أنا كل هؤلاء الأخريات أنا الأخيرة

ولكنك يا حبيبي أنت الأول والأخير في حياتي لك سفراتي وترحالي بين أفق وابتهالاتي ورجاءي

وأبحث عنك في الوجوه حولي واتشبث بك محورا يدور حوله فلكي

وتنادي جدتي الغجرية

وتقول الغجرية وهي ترسم وشما وتنظر في عيني

مكتوب يا بنيتي فارس غائب على جبينك تدور حوله حياتك فهو لا يأتي ولا يذهب وتظلين أنت وراءه تهرولين

موشومة أنا بك ووشمك غائر في روحي

بارز اتحسسه واراك في نومي ماثلا أمامي اتيتني ليلة في كرب

أصابني ووجهك كالبدر قلت لي لا تخافي حبيبتي أنا هنا بجوارك

كم تمنيت البكاء في صدرك

ما أشد الغربة دون بكائي

وكثرت رحلاتي وسفراتي وراء ابن الفارض والنفري وابن الرومي وتضخمت مكتبتي ورحت ابحث عن الحب في قصصهم وادور في الحضرات ابكي اتوسل عودة لحبيبي

ما أقساه حرماني منك

ولا أدر أأنا أنا أم أنت أكون

وانهالت سيول كتاباتي واشعاري كانت تدور حولك انت وكانت لك

وادركت اني لست هنا بل هناك معك

وراء النهر الاخضر اراك مادا لي يدك تقول تعالي

حتما سأتيك حبيبي

وانتصف العمر ولم تبق الا بضع خطوات كأنما استعجل الرحيل اليه

وما بين رحيل أمي ورحيل جمال درب الألم

في ليلة داهمتها الأم ذلك اللعين

أسرعت إلى السماء أنادي يا الله وكان فجرا

وأدركت ليلتها أنها مغادرة

نظرت في وجهها وقالت لي عيونها السود وقد عاد بريقها اني مغادرة بنيتي لا تهتزي

لم أبك

وتعجبت من صبري وصمودي أمام فادحتي

أهو الموت وقد تجرعته في فقدان الحبيب

وغصت وتوغلت في العارفين بالله وكتبهم والعاشقين هم

ولم يغب وجهك عني حبيبي

حسين هذا المترودتيل النوبي ....يقول ....هذه الشيكات لي

واتعجب كيف وهي باسم .....

وتمر الأيام وتعلوا عمارة أنشأها ومطعم فاخر

ويذهب كل شيء

وانت من هناك ترقبني وتقول .... صغيرتي ...تقوي ...لا تضعفي ...

كم أعشق البحر والمطر

يوما كنا معا في مساء ماطر خبيئتي في معطفك الأسود ونحن

نهرول نحو مقهانا على شط بحر مدينتي الساحلية

ويرقبنا ذا النادل مبتسما لنا

من نافذه هذا المقهى نرقب العشاق المارين أمامنا وقد تعانق البحر والمطر وتعانقت ايديهما

ويأتيني المطر هاطلا وأنت لست هنا اتخيله دموعي

قصة حبي هذه والموت صنوان

وأفر الى ديوان شعري أكتب وكل كتاباتي لك وعنك

ويتساءلون لمن هذه الكلمات ولا أجيب

حياتي بين هنا وهناك وفرار إلى عالمي انا‌ديك أناشدك البقاء في خيالي وذاكرتي

منك الحياة استقيها والمدد ومداد احباري إلهامي

وتتجذر وتتعمق في أعماقي

ولا أرى سواك رغم كثرة عشاقي

لم أكن لسواك يوما يا حبيب عمري.... ولم أقو

عذراءك يا جميلي هنا لك في أعماق روحي

مناط قدري وأعماري ...

وراء الوجود واللاموجود والوراء وما الوراء أبحث عنك

الاف الأعمار والحيوات

أبحث عن رجل احتلني منذ مليون عام

في الخلايا والدم مسراه ويقيني

أأنت راض عني ؟ أجبني ...

كم توسلت إليك أن تخترق الحجب وتأتي في معجزة كونية

وقلت لك

تعال ...حطم الكون فوق رأسي ...وتعال ..

جبت المجرات ....وصاحبني كوكبي الزهرة الوردي وعطارد ملهمي

وأتحسس وسادتي كل ليلة أبحث عن يدك

يا سر أسراري

وفؤادي وملهمي

ورحيلك القسري في مأساة زلزلتني كيف احتملتها ومكالمة طويلة انتهت بالصمت

وأنت الوعي والعقل ليتني أدركت قبل المغيب

أنباء أتتني ....هناك حكم محكمة واتهامات لم اصدقها

ولأنك أنت الباحث عن الحق كثر أعدائك وأبعدوك عن الساحة ليخلو لهم

وسألتني ...هل تصدقين ما قالوه عني .... لم اصدق حرفا ...لأني أعلمك جيدا

لو لم أكن انا فمن أكون أنت وقد تلبسني فكنت أنت

وأوصيتهم ان يكتبوا على شاهد قبري .....هنا ترقد ...شهيدة عاشقة ...

ريح شغف ....عاصف بي ...اذرف دمعي ...والجوى ..ووجداني محترق

تتجاذبني رياح تمزقني واتهجد

بأبيات من آهاتي والتشظي دموعي مطر ينهمر لا حزن إنما هو الهيام

اسكنتني يا حبيبي مدن السحر والمر اجترعه وفؤادي والروح تأز ازيز المتبتل شوقا

أضناني الهجر القسري المتمثل في الرؤى وجروحي

وأنت بعيد تخاطبني

أظل أنا والكتمان والبركان في جوفي وتظل أنت روحي

طبيب روحي كم أوجعني الغياب

وأنت في كل حرف من حروفي

وعاهدت من أقداري ظروف حرماني وكان لجوئي إليك حين تهمي مدامعي

وتظل أنت جمال الكون ...

خبيئتي قصة عشق لم تخمد حرارته ومازال بركانا في الجوف يرسل الإشارات عشقا استمسك به ملاذا وأمانا

انها قصة امرأة أنثى علمها نزار كيف تعشق جسدها وكيف تعشق حبيبها وكيف تعطيه

امرأة تبدو أنها صلبة ولكنها في حقيقة الأمر طفلة تروم الأمان في حضن الحبيب المتخيل الغائب، امرأة خاضت حروبا كثيرة متوالية بحثا عن الحق والحقيقة، ولم تنكسر يوما أو تخضع لأن هنا بداخلها الحبيب المحور حوله تطوف وتستقي القوة والأمان وسلاحها

حبيبا تعود إليه في كل أمورها وكل ما يلاحقها حتى محاولات التقرب لي كأنما هو أبدي بيني وبينه

ودارت أيام عمري حوله بالروح أرتحل إليه هناك حيث عالمه

وأصبح لي عوالم وأزمنة

واقع أعيشه .... مستسلمة فيه لقدري ...وعشق أسافر إليه بالروح استلهمه وبه احتمي.. وخيال هو عالمي ومددي ويأتيني منه الإلهام والمدد وأصبح الشعر والحرف مناط حياتي ...مأوى الوذ به واحتمي ومجرات وكواكب أصاحبها في سفراتي ومحور أطوف حوله

أستلهم منه قوتي وأماني حصني أتحصن به ولم يستجب قلبي للحب وكثر عشاقي ولكنه لم يكن فيهم ...جمال....

تنتابني رعدة حين التذكر .....

لما أدرت قرص التليفون وأسمع صوته بعد غياب السنين ..... والغربة ....وتتحقق قصة عشقي في مكالمة تليفونية طويلة اختزل فيها العمران عمره وعمري عشناها كأنما نرتشف من الحياة رحيقها ونعيد أيام الشباب والصبا

مكالمة ....مازالت ماثلة في وجداني ...

قلنا فيها كلام الحب مالم نقله حقيقة في الواقع

استغرقنا فيه العمر الذي مضى واحييناه في بضع ساعات في مكالمة طويلة ....

مارسنا فيه الحب خيالا واغترفنا من الخمر وسكرنا ورقصنا وضحكنا وعشته وعاشني

قلنا فيها مالم يقل في قصص العشق .....

وضاع مني كأنما هي وداع ....أو حياة ...وعمر ...

مات حبيبي في نهاية المكالمة ....

وصراخي المكتوم ....وركضي في شوارع مدينتي ....اتلمس خطواته ....

كأنما اصابني جنون رحت أهذي وأغيب عن وعي ولا أدري بليلي أو نهاري أنادي ...جمال ...

وما زلت أرحل اليه هناك يا عشقا لم ينله إنسان ....

وتنهمر أشعاري له وفيه أكتبها ...عشته قصائدا ...وحروفا

جمال ...

إنها قصتنا ...خبيئتنا ...أُحييها ...ليعلم العشاق ...أن هناك عشقا ...عاش المدى والعمر

وأكتب هنا ...وصيتي..

اكتبوا فوق شاهد قبري ...

هنا ترقد عاشقة ...الحبيب الغائب ...الراحل ...شهيدة عشقه

.....وإذا ما مت ...

غسلوني بالياسمين ....واسم حبيبي ...يتردد ....

واتركوا لي سجادة صلاتي .... ودواوين شعري ....

وازرعوا ياسمينتي ..

واذكروني ...

مع تحيات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عبد القادر الحسيني

المشرف العام

محمد عبد القادر الحسيني

المدير العام

عصام عبد القادر

نائب المدير

حسام الدين عبد القادر الحسيني

الهيئة الاستشارية للدار

الدكتور عبدالرحيم درويش الدكتور على جاد الحق

الدكتورلطفى سيد صالح الدكتور بسيم عبد العظيم

الدكتورة منى حسين